أشهر القصص اللصوصية

أرسين لوبين

5



إمرأة أرسين

موريس لبلان



مكتبة معروف

أشهر القصص اللصوصية

أرسين لوبين

امرأة أرسين

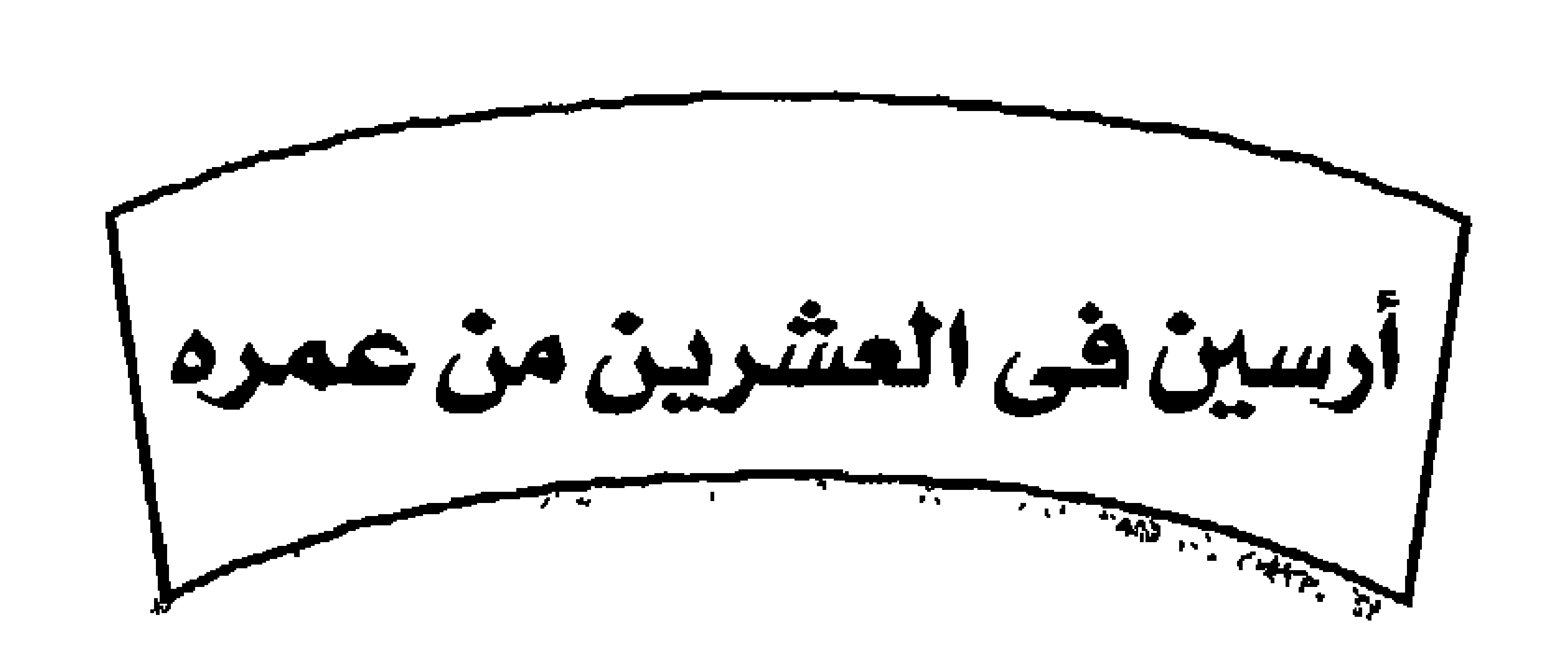
ترجمة

محمد عبد المنعم جلال

مكتبة معروف

مكتبة معروف

الإسكندرية ـ ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦٤١٠ فاكس ـ ٤٨٦٠٠٨٩ القاهرة ـ ٠٢٢٤٠٣٧٧٩٢
ص . ب ٣٧٠ الإسكندرية
E- mail : maarouf 2004 @ hotmail . com



ترك راوول داندريزى دراجته وراء منحدر تغطية الأعشاب ، ودقت ساعة الأبراشية حينئذ ثلاث دقات ، فسار على قدميه فى الطريق الموصل إلى قصر البارون ديتج . ولما بلغ القصر وقف ينصت هنيهة فطرق سمعه صهيل جواد أعقبه صوت عربة تتقدم وأجراس تدق . وفتح مصراعا الباب فجأة ومرقت منه عربة سمع راوول فيها صوت رجال يتحدثون . ولمح فوهة بندقية ، وسرعان ما اختفت العربة فى طريق إتريتا .

وتمتم راوول يحدث نفسه :

- لم أكن اعرف أن صيد الطيور يحلو فى الليل . إن مكان الصيد بعيد ، فلأنتهز هذه الفرصة لأعرف سبب خروج البارون فى هذه الساعة المتأخرة .

ودار حول القصر . ولما بلغ الحائط الخلفى تقدم أربع خطوات ثم توقف . وكان فى يده مفتاحان ففتح بأحدهما باباً منخفضاً ، وصعد درجاً منحوتاً فى الجدار . أما المفتاح الثانى فقد فتح به بابا سرياً أفضى إلى الطابق الأول .

أخرج مصباحه الكهربائى، وسلط نوره حوله بدون حذر ، لأنه كان يعلم أن الخدم يقيمون فى الجناح الآخر من القصر، وأن كلاريس ديتيج ، الابنة الوحيدة للبارون تقيم فى الطابق الثانى . واجتاز رواقاً

فى آخر غرفة مكتب البارون .. وكان قد دخلها مرة قبل هذه منذ أسابيع قلائل ، وطلب من البارون يد ابنته فقوبل بأسوأ مقابلة وطرد شر طردة وخيل إليه أن ذكراها لن تبرح مخيلته طالما بقى على قيد الحياة :

ورأى وجهه فى المرآة . كان وجه شاب فى مقتبل العمر ، شاحب اللون ، ولكنه مع ذلك ، ورغم ما كان يشعر به من انفعال واضطراب فقد استطاع أن يكبح جماع نفسه وأن يقوم بالمهمة التى جاء من أجلها ببرود ورباطة جأش .

لم تأخذ منه هذه المهمة وقتاً طويلاً ، فانه أثناء زيارته الأولى للبارون ، أولى المكتب كل اهتمامه ، وعرف المخابئ التى يمكن إخفاء الأشياء فيها، فما هى إلا لحظات حتى عثر فى شق على رسالة مكتوبة على ورق رقيق جيد ، ملفوفة كالسيجارة ، وكانت من غير توقيع ، ومن غير عنوان .

فحص راوول الرسالة . ولما قرأها استحمق صاحبها لأنه أخفاها بكل تلك العناية ، ولكنه بعد أن استبعد بضع كلمات وضعت للتضليل قرأ ما يلى :

"وقعت على آثار عدوتنا فى روان ، فنشرت فى الجرائد المحلية خبراً مؤداه أن فلاحاً بقرية اتريا عثر فى أراضيه على شمعدان نحاسى بسبعة فروع ، فأبرقت صاحبتنا على الفور إلى حوزى اترتيا وطلبت منه أن يرسل إليها عربة فى محطة فيكامب فى الساعة الثالثة من اليوم الثانى عشر .

ولكنى سأبرق إلى الحوزى فى صباح ذلك اليوم وأقول له على لسانها "اننى عدلت عن المجيئ إلى القرية" وعليه فإن عربتك هى التى ستنتظرها فى محطة فيكامب، فاعمل على أن تقودها إلى قصرك

تحت حراسة جيدة فى الوقت الذى سنعقد فيه اجتماعنا .

"سوف نقوم بمحاكمتها عندئذ وننطق بالحكم ضدها وسيكون حكماً قاسياً صادقاً وعادلاً فى نفس الوقت . وسننفذ الحكم فى التو ، ففى العصر الذى كانت فيه الغاية تبرر الوسيلة كان العقاب ينفذ بسرعة ، تذكر اتفاقنا الأخير ، وتذكر أن نجاح مشروعنا ونجاة أرواحنا متعلقان بهذه "السفاكة الجهنمية" فتوخ الحذر ، وتظاهر بأنك خارج للصيد حتى نكون بعيدين عن كل ريب ومظنه . سأحضر أنا واثنان من أصدقائنا بطريق الهافر فى تمام الساعة الرابعة . لا تتلف هذه الرسالة فسأستردها منك عند قدومى."

• • •

قال راوول محدثاً نفسه بعد أن فرغ من قراءة الرسالة .

"الإفراط فى الحذر يعرض صاحبه للهلاك ، فلو أن كاتب هذه الرسالة اطمأن ولم يتحرز لحرقها البارون ولما عرفت بمحاولة الاختطاف التى سيقومون بها ومحاكمتهم غير القانونية ، ولما علمت شيئاً عن الجريمة التى يدبرونها فى الخفاء . يا إلهى ! ما كنت أظن أن صهرى المقبل ضليع فى عالم الاجرام .

وفرك يديه وشعر بسرور كبير يغمر قلبه ، فقد راقت له هذه المسألة ، واسترعت اهتمامه بضع نقاط لاحظها منذ أيام ، وعقد العزم على أن يعود إلى الحانة التى يقيم فيها لينام ، ثم يعود فى اليوم الثانى فى الميعاد المذكور فى الرسالة لكى يقف على حقيقة مؤامرة البارون ومدعويه ، ولكى يعرف من هى هذه السفاكة الجهنمية التى حكموا عليها بالموت .

أعاد راوول الرسالة مكانها ، ولكنه بدلاً من أن يغادر القصر جلس أمام طاولة عليها صورة كلاريس ، وأخذ يتأمل الصورة بعينان

يفيضان بحب دفين . كانت لفتاة فى الثامنة عشرة من عمرها ، جذابة الملامح ذات شفتين رقيقتين ساحرتين وعينين حالمتين ، وشعر أشقر جميل ووجه شاحب كان يزيدها جمالاً وفتنة .

قست نظرته وغمرته فكرة شيطانية لم يستطع أن يتغلب عليها كانت كلاريس بمفردها فوق ، في مسكنها المنعزل، وقد سبق واستخدم المفتاحين اللذين أعطتهما له وانضم إليها وقت تناول الشاى فما الذى يمنعه اليوم . لم يكن فى الامكان وصول أى صوت إلى الخدم ولن يعود البارون إلا آخر النهار دون شك ، فلماذا ينصرف ؟

ومع ذلك فقد وقف متردداً أمام الباب . فهو إذا كان قد سبق واجتازه فقد كان ذلك في عز النهار ، كصديق محترم رزين . فما المعنى من دخوله الآن فى هذه الساعة من الليل ؟

معركة ضمير لم تطل ، فلم يلبث أن طرق الباب ثلاث مرات ، وهمس يقول :

- كلاريس . كلاريس . أنا راوول .

ومرت دقيقة ، ثم فتح باب المخدع ، وظهرت الفتاة وفى يدها مصباح ، ولاحظ شحوب وجهها ، وما ارتسم عليه من امارات الفزع والهلع حين رأته ، فارتبك وارتد إلى الوراء قائلاً :

- لاتؤاخذينى يا كلاريس . اننى أتيت رغماً عنى . ما عليك إلا أن تنطقى بكلمة واحدة فأذهب .

لو أنها سمعت هذه الكلمات ووعتها لنجت ولانتصرت على خصم رضى بالفشل مقدماً، ولكنها لم تعها ، وامتدت أمام بصرها غشاوة فلم تر شيئاً. وأرادت ألاتظهر سخطها فتمتمت ببضع كلمات غير مفهومة . وأرادت أن تطرده فلم تجد القوة لكى تحرك ذراعها وترفعها وسرت فى بدنها رعشة فألقت بالمصباح فوق طاولة بجوار الباب ، وما

كـادت تفـعل حـتـى دارت حـول نفسـهـا ووقـعت على الأرض مـغـمـى عليها .

تحابا منذ ثلاثة شهور ، فقد التقى بها أثناء إقامتها فى باريس مع صديقة لها ، وشعر كلاهما بالميل نحو الآخر فى الحال . وأحبته الفتاة حباً ملك عليها مشاعرها وحواسها ، فما رأته حتى خيل إليها أنه شاب غامض ، مبهم ، وأنها لن تفهمه مهما حاولت .. ساءها استخفافه ومرحه وسخريته الشديدة ودعاباته اللاذعة ، ولكن أعجبها منه جاذبيته وخفة روحه .

ولما عادت إلى نورماندیا ودهشت حين رأته ذات صباح منحنياً فوق الجدار أمام نوافذ مخدعها . وأقام الشاب فى حانة قريبة تبعد عن القصر ببضعة كيلو مترات ، وجعل يأتى كل يوم على دراجته ، ويلتقى بكلاريس على مقربة من قصر ديتيج .

كانت كلاريس يتيمة الأم ، ولم تكن تشعر بأية سعادة مع أبيها ، فقد كان البارون قاسى القلب جاف العاطفة فخوراً بلقبه كما كان شجاعاً . وكان عماله الذين يشتغلون فى مزرعته يخافونه ويرهبونه كما يرهب الانسان شر عدو له . فلما جرؤ راوول وطلب منه يد ابنته ثارت ثائرته ، وغلت مراجل غضبه على الشاب الصعلوك الأجرد الذى لا عمل له ولا لقب ولولا أن راوول رماه بنظرة باردة تقطر سخطاً لصفعه البارون ولشنع به أسوأ تشنيع .

حزنت كلاريس عندما علمت أن أباها طرد الشاب من مكتبه . وأرادت أن تصالحه وترضيه فأتت باكبر هفوة فى حياتها ، وفتحت له باب مخدعها مرتين ، فاستغل راوول هذا العمل البرئ الطاهر لتقوية حبه وتثبيت دعائمه .

فى ذلك الصباح ادعت أنها تشكو من صراع ولزمت غرفتها .

وأمرت بإحضار طعام الغذاء إلى مخدعها بينما اختفى راوول فى غرفة مجاورة ، وبعد أن تناولا طعامهما احتواها بين ذراعيه وجلسا أمام النافذة المفتوحة يوحدهما غرامها وذكرى قبلاتهما على الرغم من الخطيئة التى ارتكباها .

ومع ذلك فقد أخذت كلاريس تبكى .

وقال راوول فى رفق :

ـ افرحى أيتها الحبيبة .. إن الحياة جميلة لمن هم فى سننا . وستكون أجمل حين نتغلب على العراقيل التى أمامنا ، فلا تبكى .

مسحت دموعها وحاولت أن تبتسم وهى ناظرة إليه . كان نحيف الجسم مثلها ولكنه كان عريض المنكبين ، تبدو فى ملامحه أمارات النبل وسمات المهابة . يدل فمه على ذكاء متوقد فى حين كانت عيناه تشعان ببريق السخرية والاستخفاف . وقالت جازعة :

ـ راوول . راوول . إنك حتى فى هذه اللحظة وأنت ناظر إلى لاتفكر فى . هل يمكن هذا ؟ انك لاتفكر فى بعد ما حدث بيننا، فيم تفكر أيها الحبيب راوول ؟

فقال ضاحكاً : اننى أفكر فى أبيك .

ـ تفكر فى أبى ؟

ـ نعم . أفكر فى البارون ديتيج وفى مدعويه . كيف يضيعون أوقاتهم فى قتل طيور لا حول لها ولا قوة .

ـ انها هواية عندهم .

ـ هل أنت واثقة مما تقولين ؟ أما أنا فلابد أعتقد ذلك .. لو اننا فى سنة ١٨٩٤ لظننت أنهم ...

ـ امض فى حديثك أيها الحبيب .

ـ حسناً .. يخيل إلى أنهم يتآمرون .. أجل يا كلاريس .. أن المركيز دى رولفيل ، وماتيو دى لافوبالين والكونت أوسكار دى بنيتو ورويكس دشييه وغيرهم .. كل هؤلاء النبلاء ، سادة بلدة كو مشتركون فى مؤامرة ما .

عبست كلاريس وقالت : هذا سخف يا عزيزتى . دعنا من ذكر أبى ومدعويه وحدثنى عن حبك لى .

ـ إن حياتى مكرسة لك ولحبك أيتها الحبيبة . لاشاغل لى ولامطمع إلانوالك يا كلاريس .. هبى أن أباك يتآمر ، وانه اعتقل وحكم عليه بالاعدام .

فخلصته أنا من الموت وأنقذته من السجن ، أفلا يرضى عندئذ أ يعطينى يدك .

ـ سوف يرضى فى يوم قريب أيها الحبيب .

ـ اوه . أبداً . اننى فقير ، ولا أمارس أى عمل .

ـ ولكن عندك اسمك . راوول داندريزى .

ـ حتى هذا الأسم لا أملكه .

ـ وكيف هذا ؟

ـ داندريزى اسم أمى ، استعادته بعد أن أصبحت أرملة .. وقد استعادته نزولاً على رغبة أهلها الذين أسخطهم زواجها وأساءهم .

فسألته كلاريس قائلة : ولماذا ؟

ـ لماذا ؟ لأنها تزوجت رجلاً فقيراً من عامة الشعب .. يشتغل بتدريس الجمباز وألعاب السيف والملاكمة .

ـ وما إسمك اذن ؟

ـ أرسين لوبين .

ـ أرسين لوبين ؟

ـ نعم ، وهو كما ترين اسم عادى .

ذهلت كلاريس . ماذا يهمها أن يكون اسم زوجها أرسين لوبين أو راوول داندريزى ؟ أن شخصه هو الذى يهمها . ولكن البارون .

وتمتمت تقول :

ـ ما كان يجب أن تتبرأ من أبيك . أتخجل من أنه كان مدرساً ؟

ضحك ضحكة ألمتها وقال :

ـ كلا . وأقسم اننى استفدت من دروسه التى لقنها لى فى الجمباز والملاكمة وأنا لا أزال طفلاً . ولكن قد تكون هناك أسباب حملت أمى على الانفصال عنه . وهذه الأسباب لاتعنينى .

وقبلها فجأة ثم أخذ يرقص ويدور حول نفسه ، وعاد إليها أخيراً وقال :

ـ ولكن ، اضحكى أيتها الحبيبة .. كل هذا غريب .. اضحكى . ماذا يهمك أن يكون اسمى أرسين لوبين أو راوول داندريزى .. المهم هو أن أنجح، وسأنجح بإذن الله.. ما من عراف أو عرافة إلا وقد تنبأ لى بمستقبل باهر وبشهرة عالمية . سيكون راوول داندريزى جنرالاً أو وزيراً أو سفيراً . ذلك إذا لم يصبح أرسين لوبين . هذه مسألة للقدر وحده أن يفصل فيها . وعلى كل حال فاننى على استعداد لكى أكون هذا أو ذاك ، فلى عضلات من الفولاذ وعقلى لايباريه عقل . أتريدين أن أمشى على يدى ؟ أو أن أحملك بين ذراعى ؟ هل تحبين أن أسلبك ساعتك دون أن تشعرى؟ أو أن ألقى عليك قصائد هوميروس اليونانية وملتون الإنجليزية .. أه ! ما أجمل الحياة ! راوول داندريزى ، أو

أرسين لوبين ؟ أيهما سيكون المجد من نصيبه يا شمس حياتى ؟

أمسك راوول عن الكلام فجأة وقد أثقل عليه استخفافه . ودار ببصره فى الغرفة التى أقلق هدوءها كما أقلق راحة وضمير الفتاة الطاهر ، ثم جثا أمام كلاريس بخفته المعهودة وقال :

ـ عفوك يا كلاريس . لقد أسأت إليك بحضورى . ليس الذنب ذنبى ، نعم يمكننى الاحتفاظ بتوازنى إلابعد مجهود كبير . فكل من الخير والشر يجتذبنى . يجب أن تساعدينى يا كلاريس فى اختيار الطريق الذى ينبغى أن أسلكه . ويجب أن تصفحى عنى إذا أخطأت .

أخذت رأسه بين يديها وقالت :

ـ ليس هناك ما تؤاخذ عليه يا راوول. اننى سعيدة.. سأتألم كثيراً، وأنا موقنة من ذلك ، ولكننى أرضى بالعذاب والآلام ما دامت صادرة منك .. خذ . إليك صورتى . كن عاقلاً ، ويجب ألاتخجل حين تنظر إليها . أما أنا فسأظل على عهدى لك يا راوول ، عشيقتك وزوجتك أمام الله . أننى أحبك .

وطبعت قبلة على جبينه . فابتسم وضمها إلى صدره فى شغف وجنون .

• • •

كانت خطة راوول ، ولنترك اسم أرسين لوبين جانباً الآن ، فهو نفسه لم يكن يعرف مصيره حينذاك ، وكان ينظر إلى هذا الاسم نظره إلى شئ محتقر ـ كانت خطة راوول بسيطة ، فقد كان يوجد فى الحديقة برج مقام بجانب سور القصر ، وكانت الأعشاب تغطى جدرانه ، فلم يشك فى أن اجتماع الساعة الرابعة سيكون فى القاعة الكبرى التى يستقبل فيها البارون عماله . وقد لاحظ راوول أن إحدى نوافذ البرج الخارجية تقع أمام نافذة هذه القاعة مباشرة .

تسلق راوول الأغصان بسهولة ، ودخل البرج من النافذة ، واختفى وراء الأعشاب والأغصان بطريقة تمكنه من رؤية كل ما يحدث فى القاعة من غير أن يراه أحد .

وبعد أربعين دقيقة جاء البارون ومعه ابن عمه أوسكار دى بنيتو . وكان للبارون جود فرى ديتيج عضلات مصارع من مصارعى السيرك ووجه بلون القرميد ، وله لحية شقراء قصيرة وعينان حادتان ثاقبتان كعينى الصقر . أما زميله ، وهو ابن عم له فكان له منظر نبيل ريفى خشن المظهر بطئ الحركات . وكان كل منهما شديد الانفعال فى تلك اللحظة . وقال البارون :

- أسرع . سينضم إلينا لافوباليير ورولفيل دوبيجار ، وسيأتى بومنيان فى الساعة الرابعة ، وبرفقته البرنس داركولا والكونت دى برى ، ثم تأتى هى . ذلك إذا وقعت فى الفخ .

قال أوسكار دى بنيتو :

- هذا أمر مشكوك فيه .

- ولماذا؟ انها طلبت عربة وستجدها فى انتظارك فى المحطة ، فتركبها وسيقود دورمون العربة .. ويأتى بها إلينا . وفى منتصف الطريق سيقفز روكس دشييه على سلم العربة ويفتحها ويخضع السيدة ويقيدها هو و رورمون ، وهذا أمر محتوم .

فاقترب بنيتون من جودفرى ديتيج وهمس يقول :

- وبعد ذلك ؟

- سأطلع الأصدقاء على أمرها .

- وهل تظن أنك ستتسخلص منهم أمر بإعدامها ؟

- سواء تم هذا أم لا فسوف تكون النتيجة واحدة .. فان بومنيان

يريد ذلك ولن يسعنا أن نرفض .

ـ آه . إن هذا الرجل سيوردنا موارد الهلاك معه .

هز البارون كتفيه وقال :

ـ يلزمنا رجل مـثله لكى يتـغلب على هذه المرأة . هل أعـددت كل شئ ؟

ـ نعم . الزورقان موجودان تحت سلم الابراشية . والزورق الصغير مثقوب ، وسيغوص فى البحر بعد عشر دقائق من وضعه فوق سطح الماء .

ـ وهل وضعت فيه حجرا ؟

ـ نعم . حجراً ثقيلاً .

ولزما الصمت . وكان راوول قد سمع كل كلمة من حديثهما فقال يحدث نفسه :

ـ ويلكما ! اننى لا أتنازل عن مكانى هذا حتى ولامقابل امبراطورية يا لهما من شجاعين . انهما يتحدثان عن القتل كما لو انهما يستعدان لقتل عصفور .

ووصل المدعون الثلاثة معاً .. وجلسوا فى ركن مظلم بحيث لم يستطع أن يتبين ملامحهم .

وعند تمام الساعة الرابعة جاء رجلان أحدهما متقدم فى السن ، تدل هيئته على أنه من رجال الجيش ، أما الآخر فقد نهض الموجودون عندما رأوه وسارعوا إلى استقباله ، فأدرك راوول على الفور أنه كاتب الرسالة التى قرأها وانه هو المدعو بومنيان .

أشار بومنيان إليهم أن يجلسوا ، ثم قدم إليهم زميله قائلاً :

ـ البرنس دراكولا .. وهو من أتباعنا كما تعرفون ، وإن كان لم

يحضر اجتماعاتنا الأولى . أن شهادته اليوم ضرورية ، لأنه التقى مرتين فى سنة ١٨٧٠ بتلك "السفاكة الجهنمية" التى تهدد مصيرنا .

قام راوول بعملية حسابية فشعر بشئ من الخيبة ، لأن "السفاكة الجهنمية" لم يكن عمرها يقل عن الخمسين سنة ، إذا كان بومنيان قد قال حقاً .

جلس البرنس داركولا بينما انفرد بومنيان بالبارون جود فرى وأخذ منه لفافة صغيرة ولم يشك راوول فى إنها الرسالة المذكورة .

ثم تبادلا حديثاً بصوت خافت ، قطعه بومنيان بصوت لم يسمعه الآخرون :

- كفى مجادلة يا سيدى . إن الحكم صارم . ستموت السفاكة غرقاً ، فهذه أضمن وسيلة .

ثم سار إلى مقعد خلفى ، وقال قبل أن يجلس :

- انكم تعرفون مدى أهمية هذه الساعة بالنسبة لنا أيها الأصدقاء .

لقد تم بيننا الاتفاق على القيام بمهمة لابد لنا من القيام بها فعليها وحدها يتوقف نجاح مشروعنا ، وبها تتعلق أرواحنا . لقد عرفت امرأة ذلك المشروع الذى نسعى وراءه ، وهى الأخرى تبحث عما نبحث عنه ، فهى إذا نجحت قبلنا ففى ذلك ضياع مجهوداتنا . هى أو نحن . ليس فى هذه الدنيا مكان لأثنين . وتمنوا معى بكل حرارة أن تنتهى هذه المعركة فى صالحنا .

وجلس وانقضت الدقائق ببطء . وساد صمت عميق ، لم يحاول أحد أن يقطعه . وسمعوا أخيراً صوت عربة آتية فصاح البارون قائلاً :

- مرحي ! لقد جاءوا بها .

ووقفت العربة . وهبط دورمون من مكان ووثب روكس دشيية منها إلى الخارج ، وأخرج الاثنان بمساعدة البارون امرأة مشدودة الوثاق ، يغطي رأسها غطاء رقيق وحملوها إلى القاعة . وقال البارون مخاطباً دورمون :

- ارفع الغطاء .

وفك قيودها هو نفسه .. ورفع دورمون الغطاء فتمتم المدعوون وتهامسوا همسات تنم عن الدهشة ، واستولت الدهشة على راوول هو الآخر ، فقد رأى أمامه إمرأة فى شرخ الشباب وروعة الجمال .

وصاح البرنس داركولا صيحة أسكتت الآخرين .. وتقدم نحو المرأة عابس الوجه وعيناه تقدحان شرراً وقال :

- إنها هى .. اننى أعرفها . رحماك يا الله !

فسأله البارون قائلاً :

- ما الخبر ؟

نطق داركولا عندئذ بهذه الكلمات التى استدعت دهشة الآخرين :

- انها لا تزال فى شرخ الشباب ، كما كانت منذ أربع وعشرون سنة . وكانت المرأة قد جلست شامخة الرأس . وقد شبكت يديها فوق ركبتيها . وكانت قبعتها قد وقعت أثناء النزاع الذى وقع بينها وبين دورمون فى العربة .

وكان شعرها مرسلاً إلى الوراء بشكل مغر .. جذاب . وتمتم راوول وهو ينعم النظر إليها :

- يبدو لى أن هذه السفاكة الجهنمية من أروع مخلوقات الله ! أيتواطأ عشرة رجال ضدها !

نظرت المرأة إلى المدعوين ملياً ، وحاولت أن تميز ملامح الجالسين فى الركن ، وأخيراً قالت :

ـ ماذا تريدون منى ؟ اننى لا أعرف أحداً منكم ، فلماذا جئتم بى إلى هنا ؟

قال جودفرى ديتيج :

ـ لأنك عدوتنا .

عدوتكم ؟ لا ريب أن هناك خطأ .. اننى مدام بللجرينى مدام بللجرينى .

ـ أؤكد لكم .

قال جود فرى قائلاً بصوت حاسم :

ـ كلا .

ثم أردف ، ونطق بهذه الكلمات الغريبة :

ـ بللجرينى اسم كان ينتحله الرجل الذى تدعين بنوته فى القرن الثامن عشر .

لم تنطق المرأة . ولزمت الصمت هنيهة ، كأنها تستخف بكلماته ، ثم سألته :

ـ فما إسمى إذن ؟

ـ اسمك جوزفين بلسامو ، كونتس دى كاليو سترو.





كاليو سترو . الساحر العظيم الذى حير أوروبا وأدهش البلاط الفرنسى فى عهد لويس السادس عشر . عهد الدسائس والقلاقل . عهد عقد الملكة المشهور . وعهد مارى انطوانيت والكردينال دى روهان .

لئن كان راوول لم يصدق شيئاً مما سمع ، ولئن كان قد ضحك للتطور الغريب الذى اتخذته المسألة ، فقد خيل إليه أن الموجودين قد أخذوا قول البارون على أنه حقيقة لاتقبل الجدل . وقد دهش لذلك وأخذ يسائل نفسه هل لديهم من البراهين والأدلة ما يجعلهم يعتقدون فى صحة ما أخبرهم به البارون ، وهل وجدوا فى تلك التى تدعى أنها ابنه كاليو سترو المواهب التى عزاها أهل الجيل السالف إلى الساحر العظيم ؟!

وانثنى جود فرى ديتيج إلى المرأة وقال لها :

ـ اسمك كاليوسترو ، أليس كذلك ؟

ـ لاشئ يرغمنى على إجابتك ، كما أنه ليس لك أى حق فى أن تسألنى ، ولكننى لا أخفى عليك أن شهادة ميلادى تحمل اسم جوزفين بللجرينى، وأننى لغرض فى نفسى أطلق على نفسى اسم جوزفين بلسامو ، كونتس دى كاليوسترو .

ـ أنت إذن لست ابنه كاليو سترو، على الرغم من بعض اعترافاتك .

هزت كتفيها ولزمت الصمت ، فتحول البارون ديتيج إلى أصدقائه وقال :

ـ لا أريد أن أحمل صمتها هذا على أنه اعتراف أو نفى ، فليست لكلمات هذه المرأة أية أهمية ، وإذا دحضناها ففي ذلك مضيعة للوقت إننا اجتمعنا هنا لننتهى من عمل يجهله معظمنا ، ولذلك ، فمن الضرورى أن اذكر لكم الحقائق بحسب ترتيبها ، وهى حقائق وجيزة سأطلعكم عليها فأرجو أن تعيرونى آذانا صاغية .

وأخرج من جيبه ورقة وراح يقرأ :

"فى أوائل مارس من سنة ١٨٧٠ أى قبل نشوب الحرب بين فرنسا وبروسيا بأربعة شهور ، كانت الكونتس دى كاليو سترو فى طليعة الذين لفتوا إليهم الأنظار ، فقد كانت جميلة أنيقة ، وكانت تبعثر المال يمنة ويسرة دون حساب .. وكان يرافقها شاب قالت عنه أنه أخوها وقد جذبت إليها اهتمام الناس بأسمها الغريب ، وبالغموض الذى يحيط بها والمعجزات التى أتت على يديها . وكانت تفخر بأنها ابنه الكونت سترو ، كما أنها راحت تؤكد أنها تعرف سر الشباب الدائم وكانت تبتسم وتسرد على مسامع الناس أشياء غريبة تزعم أنها وقعت لها فى عهد نابليون الأول .

وقد بلغت قوة سحرها وتأثيرها إلى درجة أن أبواب نابليون الثالث فتحت أمامها، وراحت الامبراطورة أو جينى تستدعيها فى بعض الحفلات الخاصة وتسألها عن كل ما يتعلق بالمستقبل . وقد وصفت جريدة شار يفارى إحدى هذه الحفلات فى عدد من أعدادها صودر فى الحال وهو فى أيدى الباعة ، وسأذكر لكم ملخص ما جاء فيه .

"كانت ابتسامتها غامضة لايستطيع المرء أن يستطلع ما وراءها . فيها دلال وسذاجة وقسوة وضلال وتزعم أنها فى الثمانين من عمرها

وفى تلك اللحظات كانت تخرج مرآة صغيرة ذهبية تسكب على سطحها قطرتين من قنينة صغيرة جداً ثم تمسحها وتنظر فيها فإذا بوجهها يعود إلى نضارته وحيويته .

"وعندما سألناها قالت : هذه المرآة كانت ملكاً لكاليوسترو. وأن الذين ينظرون فيها بكل ثقة واطمئنان لايتقدم بهم العجز ولايشيخون انظر إلى هذا التاريخ المكتوب فى إطارها سنة ١٧٨٢، وبجانب التاريخ رباعية مكتوبة وتتضمن لغزاً كبيراً ذكرته الملكة مارى أنطوانيت لجوزيف بلسامو . وقد كان فى نية بلسامو أن يحله ، وكان يقول أن الذى يستطيع ذلك يصير ملك الملوك .

فسألها سائل : هل يمكننا أن نعرف هذه الرباعية ؟

ـ ولم لا ؟ إن معرفتها لاتوصلكم إلى حلها . وكاليو سترو نفسه اختطفه الموت قبل أن يسعفه الوقت لذلك . وها هى :

إذا أردت الكنز فهو

مخبؤ تحت بلاطة ملوك بوهيميا

ثروة ملوك فرنسا

الشمعدان ذو السبعة فروع

ولكن كل هذا لايعد شيئاً إزاء ما حدث فيما بعد، فقد أرادت الملكة أن تسألها عن المستقبل ، وإن كانت قد سألتها من طرف خفى فقالت لها الكونتس دى كاليو سترو :

ـ لتتكرم جلالة الملكة فتنفح فى هذه المرآة .

ففعلت الملكة ، وعندئذ نظرت الكونتس إلى المرآة وقالت :

ـ إننى أرى أشياء جميلة .. ستقع حرب كبيرة .. وسيكون الفوز حليف فرنسا . وستعود الجيوش ظافرة ، وسيهللون للامبراطور ولولى

العهد الامبراطورى .

واستطرد البارون ديتيج يقول : هذا ملخص ما نشرته جريدة شاريفارى ، وهو أمر يدعو إلى الدهشة حقاً ، فقد تنبأت الكونتس بوقوع الحرب قبل نشوبها بأسابيع طويلة . فمن هى هذه المرأة ؟ من هى هذه الأفاقة التى تنبأت وصحت نبؤتها ، والتى طوردت بعد ذلك ؟

لقد أجرت جريدة شاريفارى تحقيقاً سأذكره لكم :

سئلت الكونتس : نحن نسلم بأنك إبنة كاليو سترو . ولكن من هى أمك ؟

فأجابت قائلة : أمى ؟ ابحثوا بين صديقات كاليو سترو .. بين صديقاته ذوات المكانة والشأن . أجل إنها هى . جوزفين دى بوهارنيه التى تزوجت نابليون فيما بعد والتى صارت امبراطورة فرنسا .

"وإزاء هذا الأمر لم يستطع بوليس نابليون الثالث أن يقف مكتوف الأيدى فقام بتحقيق دقيق وفى نهاية يولية قدم أحد مفتش البوليس تقريراً جاء فيه :

"إن شهادة الميلاد تحمل اسم جوزفين بللجرينى بلسامو ، كونتس كاليو سترو ، وهى تثبت انها ولدت فى باليرم فى اليوم التاسع والعشرين من يوليه سنة ١٧٨٨ وقد ذهبت إلى باليرم ، وفحصت سجل المواليد ووجدت فيه بتاريخ ٢٩ يولية سنة ١٧٨٨ اسم جوزفين بلسامو إبنة جوزيف بلسامو وجوزفين دى لاب .

"وقد قمت بتحقيق ثبت لى منه أن جوزفين دى بوهارنية ، بعد طلاقها من زوجها الكونت دى بوهارنية استردت اسم عائلتها جوزفين تاشيم دى لاباجيرى ، وبحثت من هذه الناحية فعلمت أن حكمدارية باريس كانت على وشك اعتقال كاليو سترو، وكان يقيم فى فندق صغير فى فونتنيبلو على الرغم من أنه كان قد نفى من فرنسا بعد

سرقة عقد الملكة . وتحريت عن حياة كاليوسترو الخاصة فعلمت أنه كان يستقبل كل يوم سيدة طويلة القامة ، نحيفة الجسم . والمعروف أن جوزفين دى بوهارنيه كانت تقطن فى ذلك الوقت فى فونتيبلو ، وهى طويلة القامة ونحيفة الجسم ، ولكن كاليوسترو هرب فى مساء اليوم المحدد لاعتقاله . وفى صباح اليوم التالى سافرت جوزفين دى بوهارنية فجأة . وبعد شهر واحد تمت ولادة الطفلة فى باليرم .

"وليس هناك شك بعد هذا فى أن جوزفين دى بوهارنية ، التى صارت امبراطورة فيما بعد هى أم تلك الطفلة . ومما يؤيد ذلك أنه بعد انقضاء ثمانية عشر عاماً على ولادة الطفلة تبنتها الامبراطورة وراحت تعاملها معاملة الأم لأبنتها . كما أن نابليون كان يداعبها كما يداعب الإنسان طفلة ، وكان يدعوها بجوزين على سبيل التدليل .

"وسقط الامبراطور ، وانهارت الامبراطورية فتبنى القيصر اسكندر جوزين ورحلها إلى روسيا بأسم الكونتس دى كاليوسترو .

واستطرد البارون يقول : "وكان هذا التقرير سبباً فى أفول نجمها وابتعادها عن قصر التويلرى ، فصدر أمر بنفيها هى وأخاها ، فسافر أخوها إلى المانيا ، وانتقلت هى إلى إيطاليا ونزلت فى مودانا حيث التقى بها ضابط شاب يدعى البرنس داركولا . وقد حياها هذا الضابط، وهذا الضابط هو الذى أظهر لكم حقيقة شخصيتها اليوم .

وهنا نهض البرنس داركولا وقال : إننى لا أعتقد فى المعجزات ، ومع ذلك فإن ما أقوله الآن معجزة . أننى أقسم بشرفى العسكرى أن هذه المرأة هى نفسها المرأة التى حييتها فى مودانا منذ ٢٢ سنة .

فسألته جوزفين متهكمة : حييتها فقط ؟

ـ ماذا تعنين ؟

ـ أعنى أن ضابطاً فرنسياً لايكتفى بتحية إمرأة جميلة . وإنك

نطقت بكل أخرى .

- هذا جائز . ولكننى لا أذكرها .

- أما أنا فـأذكرها . إنك دنوت من المرأة المنفية وطبعت على يدها قبلة طويلة ، وقلت لها : "أرجو يا سيدتى أن يسعدنى الحظ فألتقى بك مرة أخرى"

ارتبك البرنس داركولا أمام هذه الذاكرة القوية وقال :

- ياالله !

ولكنه لم يلبث أن تمالك نفسه وقال :

- إننى نسيت ذلك يا سيدتى ، وإن كانت تلك المقابلة الأولى قد تركت انطباعاً حسناً فى نفسى فإن المقابلة الثانية قد محت هذا الإنطباع .

- ومتى كانت هذه المقابلة الثانية يا سيدى ؟

- كانت فى فرساى ، بعد سنة كاملة من المقابلة الأولى. كنت أرافق المؤتمر الفرنسى الذى وضع نصوص الهدنة فرأيتك جالسة فى مقهى تشربين وتتسامرين مع بعض الضباط الألمان كان من بينهم جاسوس لبسمارك . وقد عرفت حينئذ الدور الذى كنت تقومين به فى قصر التويلرى ، وعرفت لحساب من تشتغلين .

زادت دهشة راوول داندريزى عن ذى قبل. خيل إليه أنه يسمع قصة خيالية صورت من دماغ عبقرى ، وعجب كيف يعتقد هؤلاء الرجال فى صدور مثل هذه القصة ، وكيف يصدقون ما يعزونه إلى هذه المرأة . هل أصابهم العمى فلا يرون أنها فى عفوان الشباب ؟

وختم البارون حديثه قائلاً : هذا هو ماضى هذه المرأة . وهناك أشياء أخرى كثيرة فاننى أريد أن أعرف إذا كنتم تعدون لهذه التهم

أهمية ما . إذا كان الأمر كذلك فأحرى بكم أن تشنقونى أو تعدمونى حرقاً .

- كلا . إنما ذكرت كل هذه الأحداث لأعطى للموجودين صورة حقيقية عنك .

- وهل تظن أنك أفلحت فى ذلك ؟

- أجل . من الناحية التى تهمنا .

- انك تقنع بالقليل . وما هى الروابط التى تراها بين هذه الأحدث المختلفة ؟

- أرى ثلاث روابط . أولها شهادة الذين عرفوك والذين بواسطتهم استطعنا إستعادة مراحل حياتك مرحلة مرحلة . وثانيا اعترافك .

- إعترافى ؟

- أما أعدت للبرنس داركولا نفس الحديث الذى تم بينك وبينه فى محطة مودانا ؟

- هذا صحيح . وبعد ذلك ؟

- وثالثاً هذه الصور الثلاث لك أليس كذلك ؟

قال ذلك وعرض عليها ثلاث صور ، فنظرت إليها وقالت :

- هذه الصور الثلاث التقطت لى فعلاً .

قال جودفرى ديتيج :

- التقطت الصورة الأولى فى موسكو فى سنة ١٨١٦ لجوزفين ، كونتس دى بلسامو . والتقطت الصورة الثانية لها فى سنة ١٨٧٠ والأخيرة أخذت لها فى باريس فى عهدنا هذا . والصور الثلاث عليها توقيعك ، وهى توقيع واحد بنفس الخط ، وهذا يثبت ....

فقاطعته قائلة فى سخرية :

ـ هذا يثبت أن نفس المرأة احتفظت بشبابها وبجمال وجهها ونضارته من سنة ١٨١٦ إلى سنة ١٨٩٢ .. إذن . إلى النار .

وضربت الأرض بقدمها الرقيقة وقالت :

ـ ولكن لنفرغ من هذه المسألة .. بماذا تتهموننى ؟ ولماذا أتيتم بى إلى هنا ؟

ـ أتينا بك هنا لنواجهك بالجرائم التى ارتكبتها .

ـ أية جرائم ؟

ـ كنا اثنى عشر صديقاً ، نسعى وراء غاية واحدة ، ولكننا الآن تسعة فقط . وقد مات الثلاثة الآخرون .. ماتوا قتلاً بيدك .

واستطرد البارون ديتيج يقول :

ـ منذ ثمانية عشر شهراً كان دينيس سان هوبير، أصغر أصدقائنا يقوم بالصيد فى الهافر . وقد خرج بعد ظهر أحد الأيام وبندقيته فوق كتفه ، وصعد فوق التل لكى يرى منظر غروب الشمس وراء البحر .. ووجدت جثته ، فى الصباح ، مهشمة فوق صخور الشاطئ . وقد استبعد المحققون فكرة الانتحار ، ولم يخطر لهم أن فى الأمر جريمة واعتبروا الأمر قضاءً وقدراً .

"وفى شهر يولية خرج جورج دى ايستونال للصيد فى صباح مبكر فى ضواحى دبيب وبعد ساعتين عثروا على جثته مهشمة فوق صخور الشاطئ هو الآخر .. ومات وخلف وراءه زوجة وطفلتين ، واعتبر الأمر قضاء وقدراً أيضاً !

ولكننا لم نعتقد ذلك ، فلايمكن أن يصيبنا القدر بضربة متشابهة مرتين . لقد اتفق أثنى عشر صديقاً على إنجاز عمل كبير الأهمية ،

فلم يكد يتم بينهم الاتفاق حتى مات منهم اثنان . أفلا يدل على أن هناك يداً أثيمة تعبث وتستهتر ؟

"ارتاب البرنس داركولا فى الظروف التى أحاطت بموتهما ، وأطلعنا على شكوكه. كان يعرف أننا لسنا الوحيدين الذين نهتم بذلك العمل العظيم الذى اتفقنا على القيام به . وكان يعرف أن حفلة سرية أقيمت فى قصرالامبراطورة أوجينى ذكرت فيها للكونتس كاليو سترو نفس اللغز الذى نسعى إلى حله . لغز الشمعدان ذى السبعة فروع .

"وقمنا بالتحقيق فى هذه الناحية . فعلمنا أن سيدة تدعى بللجرينى كانت تقيم وحدها فى فندق فى أحد شوارع باريس المنعزلة . وأنها كانت تغيب عن ذلك الفندق شهوراً طوالاً .. وعلمنا كذلك أن أصحاب الفندق يعرفونها باسم الكونتس دى كاليو سترو .

واستحضرنا صورة لها وأرسلناها إلى البرنس داركولا . وكان وقتئذ فى أسبانيا ، فعرف فيها المرأة التى سبق له أن رآها منذ ٢٢ سنة .

"وثبت لنا أن هذه المرأة كانت موجودة فى دييب فى اليوم الذى لقى فيه جورج دى ايستوفال حتفه.

"وقد ذكرت لى أرملة جورج دى ايستوفال أن زوجها تعرف فى أواخر أيامه بامرأة وأن هذه المرأة قد عذبته كثيرا . وترك سان هوبير ورقة يعترف فيها بأنه كان من الغباء بحيث كتب فى مذكرته بضع كلمات تتعلق بلغز الشمعدان ذى السبعة فروع ، وبالاتفاق الذى تم بين الأصدقاء الأثنى عشر ، وأن هذه المذكرة سرقتها منه إمرأة.

"أدركنا حينئذ كل شئ . أدركنا أن المرأة أوقعت سان هوبير وجورج دى ايستوفال فى حبائلها لكى تعرف منهما ما تريد ، وأنها

بعد أن استخلصت منهما ما تريد خشيت أن يطلعا أصدقاءهما على أمرها فقتلتها . هذه المرأة هى التى ترونها أمامكم.

سكت جودفرى ديتيج . وساد الصمت رهيب عميق ، أخذ راوول يتأمل أثناءه جمال المرأة وقد شعر بالقلق بعد أن سمع التهم التى وجهت إليها ، وأيقن أن هناك خطراً ما حقاً يتهددها .

وسألها البارون فجأة :

ـ هل ينبغى أن أذكر لك الجريمة الثالثة ؟

ـ كما تشاء ، فكل ما تقوله هراء . أنك تذكر أسماء أشخاص لم أسمع بهم من قبل، فلا يهمنى أن تزيد جريمة أو تنقص .

ألم تعرفى سان هوبير وجورج دى ايستوفال ؟

هزت كتفيها ولم تجب . فانحنى جود فرى ديتيج قليلاً وقال بصوت خافت :

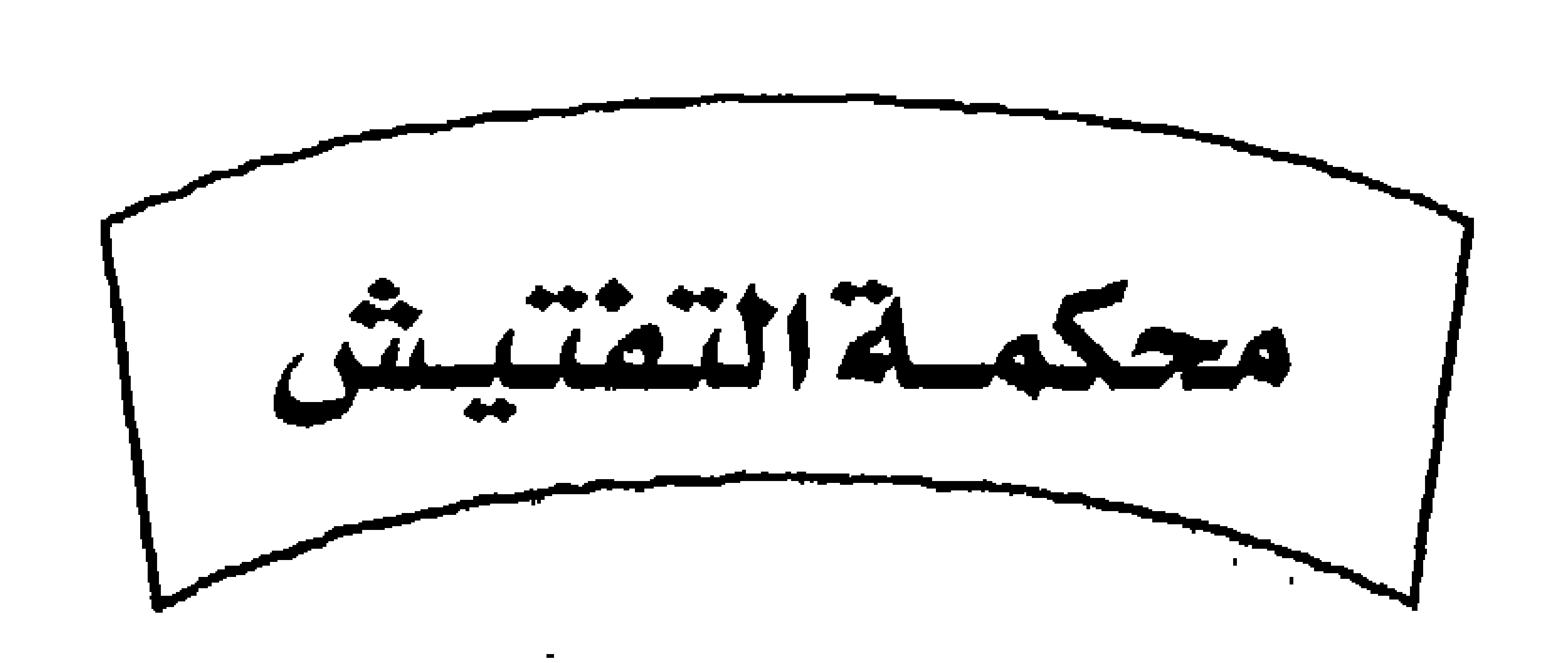
ـ وبومانيان ؟

فرفعت عينيها إليه وسألته :

ـ بومنيان ؟

ـ نعم . ثالث أصدقائنا اللذين قتلتهم .. لم يمض على موته وقت طويل . لقد مات بالسم . أما عرفته ؟





محكمة التفتيش

ما معنى هذا الاتهام ؟ نظر راوول إلى بومانيان ، وكان هذا الأخير قد نهض وأخذ يسير وهو مطاطئ الرأس إلى أن وصل خلف جوزفين بلسامو ، فجلس ، ولم تنتبه المرأة إليه .

أدرك راوول غرض بومانيان عندئذ وعرف الشرك الذى يدبره للمرأة . إذا كانت قد قتلت بومانيان ، وإذا كانت تؤمن بموته حقاً فأنها ستفزع أيما فزع حين تراه واقفاً أمامها بلحمه ودمه . إما إذا لم تضطرب ، وإذا بقيت مالكة لجاشها فسيكون هذا أكبر دليل فى صالحها . وقال البارون :

ـ ألا تذكرين هذه الجريمة هى الأخرى ؟ ألم تعرفي بومانيان ؟

تكلمى . ألم تعرفيه .

لم تنطق جوزفين ، وفطنت فجأة إلى أن وراء إصرار البارون وإلحاحه فى طلب الرد شيئاً فتوخت الحذر ، وارتسمت على ملامحها أمارات قلق خفيف ، واستشعرت الخطر المحدق بها فنظرت حولها كحيوان طريد .

نقلت بصرها من جود فرى ديتيج إلى لا فوباليير ، ثم تحولت إلى حيث جلس بومانيان وما كادت عيناها تقعان عليه حتى ارتدت إلى الوراء مذعورة ، كما يفعل المرء حين يرى شبحاً يظهر أمامه فجأة . وأسدلت أهدابها، مدت يديها إلى الأمام كأنها تحاول أن تبعد الرؤية

المخيفة وتمتمت تقول :

بومانيان . بومانيان !

وتمايلت تمايل الشجرة فى مهب الرياح ، فحسب بومانيان أنه أفلح وغمره فرح شديد ، بيد أن جوزفين لم تلبث أن اعتدلت واستردت ابتسامتها الغامضة وقالت فى هدوء :

- انك أخفتنى يا بومانيان ، فقد قرأت فى الجرائد نبأ موتك . ولكن لماذا أراد أصدقاؤك أن يخدعونى؟

ابتهج راوول حين رأى جوزفين تسيطر على الموقف من جديد ، ورأى فيها عدواً لايستهان به . أما بومانيان فقد ثارت ثائرته ، فصاح يقول وقد ذهب الجنون بعقله :

- هذا كذب . هذه فرية . أنت كذابة . إن ابتسامتك هذه لا تنطوى إلا على الخسة والخيانة والخداع والجبن .

كان صوته يتهدج من فرط الغضب ، فقالت جوزفين بهدوء ورفق :

- هدئ من روعك يا بومانيان .

ولكن غضبه زاد ، وحاول أن يتمالك نفسه ولكن الكلمات اندفعت من بين شفتيه اندفاعاً ، فقال موجهاً الخطاب إلى أصدقائه :

- أردت أن انتقم لصديقى سان هوبير وجورج دى ايستوفال فعلمت على الاتصال بها . ومضيت إلى أحد الأماكن التى تقام فيها الجلسات الروحانية حيث كنت واثقاً من أنى سأجدها .

"وقد وجدتها هناك فى الواقع . واعترف أننى ما رأيتها حتى ترددت . كيف يمكن أن تكون هذه المخلوقة الوديعة قاتلة سفاكة .

"وتبعاً لتعليماتى جلس الصديق الذى اصطحبته معى بجوارها . وتبادل الحديث مع من بجانبها، ثم نادانى باسمى . وما كاد يفعل

حتى رأيت الاهتمام ينطبع على وجهها فتأكدت أنها تعرف اسمى ، وأنها قرأته فى المذكرة التى سرقتها من دنيس سان هوبير.. وانتبهت من تأملاتها وأفكارها فجأة . وما هى إلا دقيقة حتى وجهت إلى الحديث . وتحدثت معى ساعتين كاملتين استخدمت فيها كل وسائل الفتنة والاغراء ، وغادرتها على باب بيتها بعد أن وعدتها بالعودة إليها فى اليوم التالى.

"شعرت فى نفس اللحظة التى غادرتها فيها بأننى وقعت فى غرامها .

كان يجدر بى أن أهرب منها عندئذ غير أن السيف كان قد سبق العزل فضاع عقلى وجننت شغفاً بها . ولم ألبث أن نسيت دماء سان هوبير وجورج دى ايستوفال ، ونعمت بغرام فاسد محرم . كانت ابتسامتها تربطنى بها فلا أستطيع منها فكاكا . ولم أنس جرائمها فحسب بل ارتكبت ما هو أفظع ، فنطقت رغماً عنى ببضع كلمات تتعلق بالشمعدان ذى السبعة فروع ، وعرفت هذه المرأة منى كل ما نعرفه .

"لماذا فشلت ؟ لست أدرى . لقد كانت تشير فى سياق حديثها إلى لغز الشمعدان ذى السبعة فروع الذى أخبرت الملكة مارى انطوانيت كاليو سترو به . واستولى على الجبن فجأة فأخبرتها باتفاقنا وأنا أخدع نفسى وأقول أنها ستكون حليفتنا، ولكننى كنت واهماً ومجنوناً .

ولم يلبث رشدى أن عاد إلى ، ففى ذات يوم ، منذ ثلاثة أسابيع عزمت على السفر إلى اسبانيا لقضاء بعض الأعمال . وأخبرتها بنيتى فى صباح اليوم وودعتها . وخرجت فى الساعة الثالثة بعد الظهر لإنجاز عمل غرب باريس . وتذكرت أننى لم أصدر بعض التعليمات

لخادمى فعدت ودخلت من باب الخدم . وكان خادمى قد خرج وترك باب المطبخ مفتوحاً . ولكننى سمعت صوتاً فى الداخل ، فاقتربت ببطء. ورأيت هذه المرأة ، وكانت المرآة تعكس لى صورتها .

"كانت تفتش فى حقيبتى" . فأخذت أراقبها .

"وفتحت صندوقاً صغيراً فيه أقراص أتناولها ضد الأرق ، ورفعت أحد هذه الأقراص ، واستبدلته بقرص آخر أخرجته من حقيبة يدها .

"فوجئت بهذا المنظر ، فلم أفكر فى الهجوم عليها ، وأخذها متلبسة بجريمتها . ولما انتبهت إلى نفسى وجدتها قد اختفت ، فأخذت الأقراص إلى صيدلية قريبة وحللتها فوجدت واحداً منها يحتوى على كمية كبيرة من السم تكفى لهلاكى .

كان هذا أكبر دليل على ما اقترفته من جرائم ، وقد أرادت أن تتخلص منى كما تخلصت من سان هوبير وجورج دى ايستوفال ، وكما ستتخلص من أصدقائى الباقين لتنفرد هى وحدها بالكنز الذى نسعى وراءه .

وأرسلت خطاباً إلى صديق لى يقيم فى أسبانيا . وبعد أيام نشرت بعض الجرائد نبأ موت رجل يدعى بومانيان فى مدريد .

ومن ذلك الوقت وأنا أعيش فى الظلام ، وأتتبع حركاتها وأعمالها ، فذهبت أولاً إلى روان ثم إلى الهافر ثم إلى دييب ، أى فى نفس الأماكن التى كنا نوالى فيها أبحاثنا. وكنت قد اعترفت لها بأننا سنذهب إلى دير فى مدينة الهافر ونبحث فيه فسبقتنا إليه وقامت بتفتيش دقيق ، وفقدت أثرها بعد ذلك فى روان . وقد ذكر لكم صديقى ديتيج ما بقى من قصتها ، فقد نصبنا لها شرك ، فنشرنا فى الجرائد أن فلاحاً عثر فى أراضيه على شمعدان نحاس له سبعة فروع . فجاءت بنفسها ووقعت فى الشرك .

هذه هى المرأة التى ترونها أمامكم ، وأنتم تدركون الأسباب التى تحول دون تسليمها إلى رجال القضاء ، فإن الفضيحة ستنالنا قبل أن تنالها هى ، وسيتعذر علينا بعد ذلك أن نقوم بالعمل الذى نسعى وراءه . وعليه فإن واجبنا يدعونا إلى أن نحاكمها ونجازيها بما تستحق .

نهضت الكونتس دى كاليو سترو ونظرت إلى خصمها . بدون اكتراث وقالت :

- بأى حق تحاكموننى . إن هذا من شأن القضاة وحدهم . تقولون إنكم تخشون الفضيحة ، وفيم يهمنى هذا ؟ أطلقوا سراحى .

- سراحك . نطلق سراحك لكى تستمرين فى قتلنا . إنك فى قبضتنا ولن نتركك إلا بعد أن تنالى جزاءك.

- جزاء ؟ أى جزاء ؟ لو أن بينكم رجلاً يعرف معنى الحق ، والمحاكمة لضحك من اتهاماتكم السخيفة وبراهينكم العوجاء .

فقال بومانيان : إننا لانريد كلاماً أجوف . بل نريد أدلة تثبت لى أننى أخطأت فى أمرك . تثبت لى أنك لست مجرمة .

- إن جريمتى الوحيدة هى اننى أسعى وراء نفس الغاية التى تسعون أنتم إليها .

- وسان هوبير ، وجورج دى ايستوفال ؟ ألم تقتليهما ؟

- سان هوبير . دى ايستوفال ؟ اننى لا أعرفهما . وقد سمعت عنهما اليوم لأول مرة.

- وأنا ؟ أنا ؟ أما عرفتنى . ألم تحاولى قتلى بالسم ؟

- كلا .

فصاح يقول وقد خرج عن طوره :

ـ ولكننى رأيتك يا جوزفين بلسامو . رأيتك كما أراك الآن . رأيتك وأنت تضعين السم وقد استحالت ابتسامتك إلى تكشيرة قاسية وحشية مثل الشيطان .

فهزت رأسها وقالت :

ـ لم أكن أنا التى رأيتها . لقد ذهب الحقد بعقلك يا بومانيان ، وأن روحك المتعصبة تثور ضد خطيئة الحب ، أليس كذلك ؟

هل تسمح لى أن أدافع عن نفسى ؟

ـ هذا من حقك .

ـ انظر إلى الصورة التى التقطت للكونتس دى كاليو سترو فى موسكو فى سنة ١٨١٦ . انظر إليها جيداً . إنها صورتى ، أليس كذلك ؟

ـ نعم .

ـ إذا كانت صورتى كما تقول فإن معنى قولك هذا أننى كنت أعيش فى ذلك الوقت، أى منذ ٨٠ سنة . كان عندى إذ ذاك ٢٥ سنة أو ربما ٣٠ . فكر جيداً ، ها أنت تتردد الآن . ها أنت قد أخذتك الحيرة فلا تستطيع أن تتأكد .. والآن ، افتح إطار هذه المرآة ، ستجد فى داخله صورة أخرى لامرأة تضع على رأسها خماراً خفيفاً انسدل حتى أهدابها . هل هى صورتى هى الأخرى ؟

ووضعت على رأسها خماراً خفيفاً انسدل حتى أهدابها بينما كان بومانيان ينظر إلى الصورة . ونقل بصره من الصورة إليها ثم صاح :

ـ إنها صورتك . إنها صورتك . ليس هناك أى شك فى ذلك .

ـ اقرأ التاريخ المنقوش فى الناحية الأخرى إذن ؟

فقرأ بومانيان : صنعت فى ميلانو فى سنة ١٤٩٨ .

كررت قولة قائلة : فى سنة ١٤٩٨ ، أى منذ أربعمائة سنة .

وضحكت ضحكة رنانة واستطردت تقول :

- لاتنظر إلى هكذا . لقد كنت أعلم بوجود هذه الصورة ، وقد كنت أبحث عنها . ثق أنه ليس فى الأمر معجزة . لن أقول لك إننى وقفت أمام المصور ، وأن عمرى أربعمائة سنة ، فهذه صورة العذراء مريم ، رسمتها ريشة المصور برنارد ينولوينى ، تلميذ ليونار دى فنش .

وسكتت سكتة قصيرة ثم قالت بلهجة الجد :

- هى فهمت الآن معنى ما أقول يا بومانيان ؟ هناك شبه غريب بين العذراء مريم وبين فتاة موسكو . شبه غريب : فلماذا لاتفرض أن هناك أمرأة أخرى تشبهنى، وأن تلك هى التى رأيتها فى بيتك ، والتى قتلت سان هوبير ودى ايستوفال ؟

- ولكننى رأيتك . رأيتك بعينى كما أراك الآن .

- ولكنك ترى أيضاً الصورة التى رسمت منذ أربعمائة سنة والآخرى التى التقطت منذ ثمانين سنة ، والثالثة التى التقطت منذ خمس وعشرين سنة . أهذه الصورة تمثلنى ؟

وقدمت إليه وجهها الفاتن الجميل ، وأسنانها الناصعة البياض وخديها المتوردين المزدهرين فانتابه الخور والضعف وتمتم يقول :

- أيتها الساحرة ! إننى أكاد أصدق ذلك فى بعض الأحيان . ولكن من يدرى ؟ ربما تكونين كاذبة . إن المرأة التى فى الصورة لها بقعة سوداء فى أسفل كتفها . وقد رأيت هذه البقعة على كتفيك . أريهم إياها ليعرفوا حقيقتك .

كان العرق يتصبب من جبينه ، ومد يده إلى كتفها ، ولكنها دفعته

بعيداً عنها وقالت :

ـ كفى يا بومانيان . إنك لاتعرف ما تفعل ولاتقول .. إننى أصغيت إليك فى صمت واستنكار . فأنت قد تكلمت عنى كما لو كنت عشيقة لك وأنا لم أكن ؟ أنت تكذب .. لماذا لاتقول لهم أنك فشلت ؟ لماذا لا تقول لهم إنك تعقبتنى شهوراً وشهوراً تتوسل إلى وتهددنى دون أن تفلح حتى فى لمس ظهر يدى بشفتيك ؟ لماذا لاتقول لهم أن هذا هو سبب حقدك على ومعاملتك لى بهذه الصورة ؟

"لماذا لاتقول لهم انك عندما رأيتنى أصدك أردت أن تنتقم منى ، فنصبت لى هذا الشرك ، وقدمت لأصدقائك صورة خاطئة عنى محاولاً أن تقنعهم بإننى جاسوسة سفاكة وساحرة ؟

لزم بومانيان الصمت ، فقد انتهى النضال بفشله ، ولم يفكر فى إلقاء أية تهمة أخرى عليها .. وكان أصدقاؤه قد تغيرت ملامحهم وفارقتهم تلك القسوة التى كانت قد انطبعت على وجوههم أثناء الإتهام الذى ألقاه بومنيان فدخل الشك فى قلوبهم ولحظ راوول ذلك فداخله هو الآخر الأمل فى نجاة جوزفين .

إلا أن بومنيان تبادل حديثاً خافتاً مع البارون ، ثم التفت إلى أصدقائه وقال :

ـ لقد سمعتم أقوال الإتهام والدفاع ، ورأيتم كيف واجه البارون ديتيج المتهمة بالتهم التى لاتقبل أى شك ، وكيف دافعت عن نفسها ، مستترة وراء شبه غريب بينها وبين إمرأة لاوجود لها إلا فى مخيلتها إنها عدوة لايستهان بها ، وستفتك بنا الواحد بعد الآخر وفى بقائها على قيد الحياة هلاكنا جميعاً . غير أنى لا أقول أنه يجب أن تموت ، بل يكفى أن تختفى فقط حتى لاتستطيع أن تصيبنا بضرباتها .

"وعليه فقد عقدنا العزم على شئ . ستمر باخرة انجليزية بالبلد

هذه الليلة . وسينفصل عنها قارب سيقترب من الشاطئ . وسنلتقى بهذا القارب ونسلم هذه المرأة لربان الباخرة فيمضى بها إلى لندن ويسجنها في مستشفى للمجاذيب إلى أن نفرغ من مشروعنا . ولا أظن أن أحداً منكم يعترض على ذلك .

وهنا أدرك راوول الغرض الذى يرمى إليه بومانيان ، وقال يحدث نفسه :

إنهم سيغرقونها . ليست هناك باخرة إنجليزية . بل هناك قاربان ، أحدهما مثقوب ستوضع الكونتس فيه فيغرق بها وتختفى ولايعرف أحد ما حدث لها .

قابل المدعوون قوله بالصمت ، فحكموا بصمتهم على المرأة بالموت وهم لايدرون .

ونهضوا جميعاً، وغادروا الغرفة واحداً، واحداً للعودة إلى بيوتهم ، وما هى إلا هنيهة حتى لم يبق فى الغرفة إلا اوسكار دى بنيتو .

وهكذا انتهت المحاكمة ، وقضى على جوزفين بلسامو بالموت .

ومرت ساعة، وبدأ الظلام يرسل خيوطه ، فنظرت المرأة إلى ساعتها ، وحاولت أن تجر الحديث مع بنيتو فابتسمت إبتسامة مغرية ، ونظرت إليه نظرة كلها فتنة وإغراء ، بيد أن بنيتو كشر فى وجهها فانزوت مكانها .

وعاد جوى فرى ديتيج فى الساعة السابعة فأشعل مصباحاً ، وقال لأوسكار دى بنيتو .

أذهب وابحث عن المحفة فى المخزن .

ولما أصبح وحده مع المرأة الشابة بان عليه التردد . ورأى راوول أنه يريد أن يقول شيئاً ، ولكنه يتردد ، وأخيراً قال :

ـ صلى وابتهلى إلى الله يا سيدتى .

فقالت غير فاهمة :

ـ اصلى وابتهل إلى الله ؟ ولماذا ؟

ـ أردت فقط أجعلك على بينة .. هناك أوقات يصلى فيها المرء ويبتهل إلى الله كما لو كان يصلى صلاته الأخيرة .

اضطربت الكونتس وبدا الفزع فى عينيها ، وأدركت حقيقة موقفها فجأة فتصلبت يداها فى عصبية شديدة وقالت :

ـ صلاتى الأخيرة ؟ ولكننى لن أموت .. أليس كذلك ؟ أن بومانيان لم يذكر الموت . أنه تكلم عن مستشفى للمجاذيب .

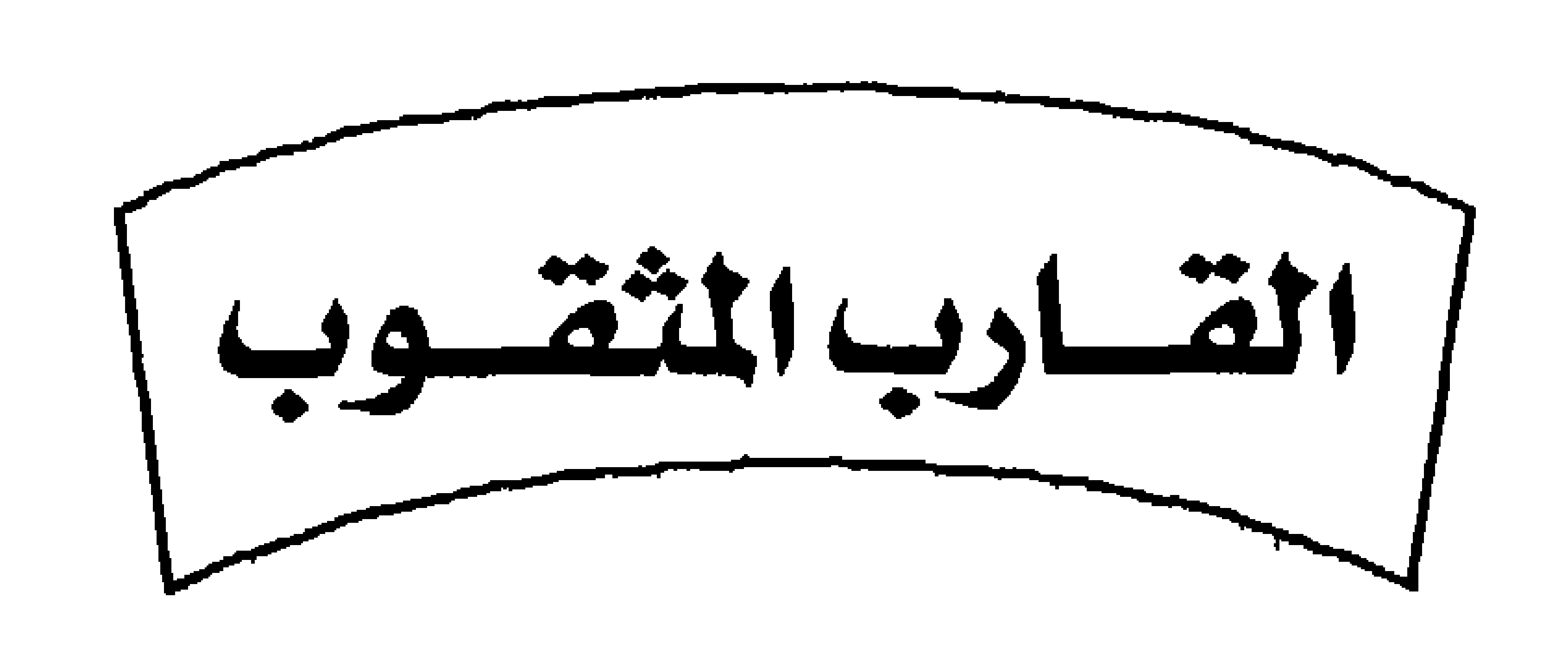
ولما لم يجب صاحت تقول :

ـ أوه . رحماك يا ربى . إنه خدعنى . إنهم سيقتلوننى غرقاً .. أو آه . إن هذا فظيع. فظيع . النجدة !

ولكنها ما كادت تنطق بالكلمة الأخيرة حتى غطى البارون رأسها وأطبق بيده على فمها فاختنقت الكلمات فى حلقها .

وعاد بنيتو بعد قليل فوضعاها فوق المحفة وأوثقاها بها .





القارب المثقوب

تكاثف خيوط الظلام ، وجلس جود فرى وابن عمه بجانب المحفة ، واستولى عليهما الخوف من الجريمة المهولة المقبلين عليها ، وتملكهما انفعال كبير . وبعد أن نام جميع الخدم ، وتأكدا أن كلاريس فى غرفتها حملا المحفة وخرجا من القصر ، وإجتازا الغابة فى طريقهما إلى النهر . وبلغا سلم الأبرشية ، وكان طويلاً وضيقاً ، فوجدا صعوبة كبرى فى النزول . ولما وصل إلى نهايته كانا يلهثان بشدة. واقتربا من القاربين . وكان البحر هادئاً ، فوضعا المحفة داخل القارب وهما يرتعشان من الخوف .

واستقلا القارب الثانى ، وجعل جود فرى يجدف بينما أمسك بنيتو بحبل مربوط بالقارب الأول وراح يشده خلفها .

وقطعا شوطاً كبيراً ، وزاد خوفهما فجأة ، فكف جود فرى عن التجديف وقال :

ـ إننا قطعنا شوطاً كبيراً فلنفرغ من هذه المسألة . انزع الفلينة .

ـ بل انزعها أنت

فدفع جودفرى ابن عمه جانباً ثم أمسك بالحبل وجر القارب إليه ثم انحنى ورفع الفلينة بيد مرتجفة .

وسمع الماء يندفع من الفجوة التى أحدثها الثقب، فكاد يفقد عقله ، وأراد أن يعيد الفلينة مكانها غير أن بنيتو لم يمهله فضرب المجداف

فى الماء والعرق يتصبب من جبينه وابتعد بالقارب ، فصاح جود فرى يقول : قف ، قف . اننى أريد أن أنقذها .

ولكن بنيتو لم يصغ إليه فما هى إلاهنيهة قصيرة حتى كان القارب قد ابتعد بهما، وغاب القارب الآخر عن ناظريهما أما الكونتس فقد انتظرت الموت فى هدوء ، فلم تحاول أن تصرخ أو تصيح طالبة النجدة . ومال القارب على أحد جانبيه فحسبت انه يميل تحت ثقل الماء وأنه سيغوص بها فى الأعماق . وأدهشها أنها لم تحس ببرودة الماء . وأدهشها أكثر أن القارب لايزال على سطح البحر . وبقى مائلاً فأدركت أن شخصاً متعلق به ، وتساءلت من يكون ذلك الشخص ، وفجأة سمعت صوتاً رقيقاً مرحاً يقول :

ـ اطمئنى . أنا صديق أتيت لأنقاذك .

وانحنى الصديق فوقها ، وأسرع يقول حتى من غير أن يتأكد أن كانت قد سمعته أم لا :

ـ لم يسبق لك أن رأيتنى .. اسمى راوول . راوول داندريزى .. كل شئ على ما يرام اننى سددت الثقب بقطعة الفلينة . وهو إصلاح مؤقت ولكن فيه الكفاية الآن ، ثم أننا سنتخلص من هذا الحجر الكبير .

وقطع قيود المرأة بسكين ، وأمسك بالحجر وبذل جهداً كبيراً حتى رفعه وألقاه فى البحر، ثم كشف عن رأس المرأة الشابة وانحنى أمامها وقال :

ـ ما أشد سرورى ! جرت الأحداث بأفضل كثيرا مما كنت أرجو ، وها أنت قد نجوت .. ولم يجد الماء الوقت الكافى لكى يرتفع إليك . وهذا من حسن حظك . هل تتألمين ؟

همست بصوت يكاد لايسمع :

ـ نعم . كاحلى . انهم شددوا القيد كثيراً .

ـ لن يكون هذا بشئ . المهم الآن هو أن نمضى إلى الشـاطئ . لاريب أن جلاديك الأثنين قد بلغا الشاطئ ويرتقيان السلم مسرعين . ليس هناك ما نخشاه إذن .

وأخذ يعمل بسرعة ومهارة ، فتناول مجدافاً كان قد أخفاه فى المؤخرة ، وراح يجدف بطريقة جانبية حتى لايراه أحد من الشاطئ ، وهو يتابع تفسيراته فى لهجة مرحة كما لو انه لم تحدث تلك المأساة .

ـ آه .. ولكن اسمحى لى أن أقدم نفسى أولاً ، رغم اننى لست فى حالة لائقة ، فكل ما أرتديه عبارة عن شورت علقت به سكيناً . أنا راوول داندريزى ، فى خدمتك ، مادام القدر قد شاء ذلك . وهو قدر بسيط وجميل . مجرد حديث استرقت السمع إليه ، وعلمت منه أنهم يدبرون مؤامرة ضد امرأة ، فسبقتهم عندئذ وأسرعت إلى الشاطئ . وعندما ظهر ابنا العم أسرعت وغطست فى الماء ، ولم يبق أمامى عندئذ إلا أن اتشبث بقاربك ، وهذا ما فعلت . ولم يفطن أى منهما انهما يصطحبان مع ضحيتها بطلاً فى السباحة عاقداً عزمه على إنقاذها . سوف أروى لك كل هذا بالتفصيل فيما بعد ، عندما تسمعينني أما الآن فيخطر لى اننى أتكلم فى فراغ .

وتوقفت لحظة فقالت :

ـ اننى اتألم . أنا مرهقة .

ـ إليك نصيحة اذن .. افقدى وعيك . فلاشئ يريح أكثر من فقدان الوعى .

ولاريب أنها أطاعته ، لأنها بعد بضعة تأوهات راحت تتنفس فى هدوء وانتظام . وغطى راوول وجهها وانطلق من جديد وهو يقول :

ـ هذا أفضل . استطيع الآن أن اتصرف دون أن أقدم حساباً لأحد .

ولم يمنعه ذلك من أن يناجى نفسه بكل الارتياح الذى يشعر به المرء نحو نفسه ونحو أفعاله . وانطلق القارب بكل سرعة تحت تجديفة . وظهرت صخور الشاطئ.

وعندما اقتربت مقدمة القارب من الصخور، وثب منه ثم حمل المرأة الشابة بكل البساطة التى سمحت له بها عضلاته القوية ووضعها على الشاطئ وهو يقول :

ـ بطل ملاكمة أيضاً ومصارعة رومانية كذلك . سأعترف لك مادمت لاتسمعيننى باننى ورثت كل هذه المزايا عن أبى . وغيرها الكثير أيضاً . ولكن كفى هزراً. استريحى هنا، تحت هذه الصخرة ، بعيداً عن خطر الأمواج الغادرة ، أما أنا فسأعود ، وأعتقد أن من بين مشروعاتك الانتقام من ابنى العم ، ولهذا فيجب أن لايجدا القارب ، وأن يعتقدا أنك غرقت فعلاً . وإذن فصبر جميل .

ومن غير أن يضيع دقيقة واحدة قام راوول بإنجاز كل ما قال ، فعاد بالقارب إلى عرض البحر من جديد ورفع قطعة الفلين . وإذ تأكد من أن القارب سيغرق بعد قليل ، ألقى بنفسه فى الماء ، وعندما عاد إلى الشاطئ استرد ثيابه ، وكان قد اخفاها فى أحد التجويفات ، وتخلص من الشورت المبتل وأرتدى ثيابه . وقال وهو ينضم إلى المرأة الشابة :

ـ هلمى بنا . علينا أن نصعد الأن ، وليس هذا بالأمر الهين .

وأفاقت من اغماءتها شيئاً فشيئاً، ورآها على ضوء فانوسه تفتح عينيها. وساعدها على الوقوف ، ولكن الألم كان شديداً فصرخت ووقعت من جديد، فخلع حذاءها ورأى على الفور أن جوربها ملوث

بالدم ، ولم يكن الجرح خطيراً ولكنه كان موجعاً .. وربط كاحلها بمنديله وقرر الرحيل فوراً.. فحملها فوق كتفه وبدأ يصعد السلم ، وكان مكوناً من مائة وخمسين درجة . وإذا كان جود فرى ديتيج وبنيتون وجدا صعوبة فى هبوطها فقد كان الجهد الذى بذله راوول أشد وأصعب ، واضطر إلى التوقف أربع مرات وهو يتصبب عرقاً ، ويخيل إليه أنه سيتعذر عليه الاستمرار .

ومع ذلك ، فقد استمر وهو لايزال مسروراً مبتهجاً . وعندما توقف للمرة الثالثة جلس وأرقدها على ركبتيه ، وخيل إليه أنها تضحك لمداعباته التى لاتنضب ، وعندئذ عاود الصعود وهو يضم إلى صدره الجسد الناعم الذى أحست يداه بملامسته .

وإذ بلغ القمة لم يفكر فى أن يستريح، فقد هبت نسمة باردة أخذت تسرى فى الأرض المنبسطة فتعجل أن يضع المرأة الشابة فى مكان آمن . واجتاز الحقول وحملها حتى مخزن للغلال مهجور ومنعزل ، أراد منذ البداية أن يصل إليه ، وكان قد توقع ما سوف يحدث ، فاتى فيه بزجاجتين من الماء وبزجاجة من الكونياك ، وبعض الطعام .

وأغلق الباب وهو يقول : اثنتى عشرة ساعة من الأمان والنوم . لن يعكر صفونا أحد . وغدا، عند الظهر ، سأحصل على عربة وأمضى بك حيث تشائين .

وهكذا انفردا وحدهما، أحدهما بجوار الآخر ، بعد أعجب وأغرب مغامرة صادفته، وأصبحا بعيدان تماماً عن أحداث اليوم الفظيعة . محكمة كمحاكم التفتيش ، وقضاة قساة وجلادون لايرحمون . بومانيان وجود فرى ديتيج . والحكم بالموت .. والبحر ، والقارب المثقوب .. كوابيس اختفت الآن.

وعلى ضوء المصباح الذى علقه لصق الجدار، مدد المرأة الشابة

فوق اكياس من التبن موجودة فى المخزن ، وعنى بها وقدم لها الماء فشربت ، وضمد جرحها فى رفق ، ووجدت الحماية والأمان فى كنفه بعيداً عن الدسائس والمؤامرات . وإذ لم يعد هناك ما تخشاه من أعدائها أستسلمت بكل ثقة وأطبقت عينيها وغفت .

أضاء المصباح كل وجهها الذى ساعدت حمى الانفعالات على احمراره. وجثا راوول أمامها، وتأملها طويلاً. وكان جو المخزن الحار قد ثقل عليها ففتحت قميصها ورأى راوول كتفيها الجميلتين ، واستدارة عنقها الذى يفيض سحراً وفتنة .

وتذكر البقعة السوداء التى أشار بومنيان إليها، ولم يستطع أن يقاوم الإغراء ، وأراد أن يتأكد إذا كانت تلك البقعة موجودة حقاً ، فأبعد القماش ورأى على اليمين شامة صغيرة على البشرة البيضاء الناعمة فتمتم :

ـ من أنت . من أنت ومن أى دنيا أتيت ؟

تسلطت على الشاب نفس الاعتقادات التى تسلطت على بومانيان وأصدقائه ، وحيره أمر عمرها ، فجعل يسألها كما لو كان ينتظر ترد عليه وهى فى سباتها . وكانت شفتاه قريبتين من شفتيها ، وأحس بأنفاسها تتسلل إلى خياشيمه ، فأخذته النشوة وطبع عليهما قبلة ملتهبة .

تنهدت جوزفين ، وفتحت عينيها ، ولما رأت راوول جاثياً بجوارها أحمر وجهها بحمرة الخجل ، وابتسمت ثم أغمضت عينيها ثانية وعادت إلى سباتها .

فقد راوول عقله ، وغلى الدم فى عروقه فى فرط الرغبة والإعجاب ، وراح يتمتم بعبارات ملتهبة ويقول :

ـ ما أجملك لم أكن أعرف أن فى الدنيا مثل هذا الجمال . كفى عن

الابتسام . اننى أفهم الآن لماذا يعملون على إيلامك ، فإن ابتسامتك تثير الاضطراب وتخلب الألباب .. وهم يريدون أن يمحوها حتى لا يرها أحد بعد ذلك .. آه .. لاتبتسمى إلا لى أنا وحدى . أرجوك .

ثم أردف يقول فى شغف اكثر :

ـ جوزفين بلسامو . ما أحلى اسمك ، وشد ما يحيطك به من غموض . قال بومانيان انك ساحرة . ولكن لا. إنما أنت فاتنة . ظهرت من الظلمات ، وكأنك نور من الشمس .

"جوزفين بلسامو التى تتدفق فتنة وسحراً .. آه .. كل هذا يتفتح أمامى .. كل ما أراه إنما هو سعادتى . إن حياتى بدأت فى اللحظة التى أخذتك فيها بين ذراعى . لم أعد أذكر شيئاً عداك . ولا أمل لى إلا أنت . رباه . رباه . ما أجملك . اننى لأكاد أبكى يأساً .

قال لها كل ذلك وهو منحنى فوقها، فمه قريب من فمها. ولكن القبلة المختلسة كانت الملامسة الوحيدة التى سمح بها لنفسه ، فلم يكن فى ابتسامة جوزفين بلسامو لذة واشتهاء فحسب وإنما كان فيها من الاحتشام ما جعل راوول يشعر نحوها بالاحترام بحيث انتهى شغفه وولهه بكلمات خطيرة مفعمة بإخلاص صبيانى.

ـ سأساعدك . لن يستطيع الآخرون إلحاق أى ضرر بك . إذا أردت أن تبلغى ، رغماً عنهم ، الهدف الذى يسعون إليه فاننى أعدك بأنك سوف تفلحين . سأكون دائماً سواء بعيداً عنك أو قريباً منك ، ذلك الذى يدافع وينقذ . فثقى فى إخلاصى لك .

ونام أخيراً وهم يتمتم بكلمات ووعود لامعنى لها. وكان نوماً عميقاً لاتتخلله أية أحلام كنوم الأطفال الذين يحتاجون إلى تجديد قواهم المرهقة .

ودقت ساعة الكنيسة إحدى عشرة دقة راح يحصيها وهو فى

دهشة متزايدة :

ـ الحادية عشرة صباحاً .. أهذا ممكن ؟

وتسلل نور النهار من خلال نافذة المخزن ومن الكوة التى فى سقفه وقال :

ـ أين أنت إذن ؟ إننى لا أراك .

وكان المصباح قد انطفأ فجرى نحو النافذة وفتحها على مصراعيها ، فامتلأ المخزن بالنور ولم ير أثراً لجوزفين .

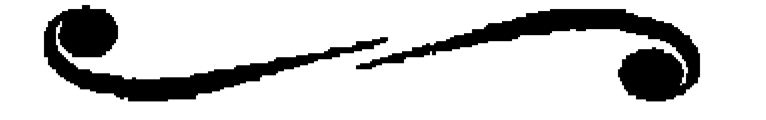
واندفع نحو أكياس التبن وراح يقلبها ويلقيها أرضاً في غضب ، ولكنه لم يجد أحداً ، فقد اختفت جوزفين بلسامو .

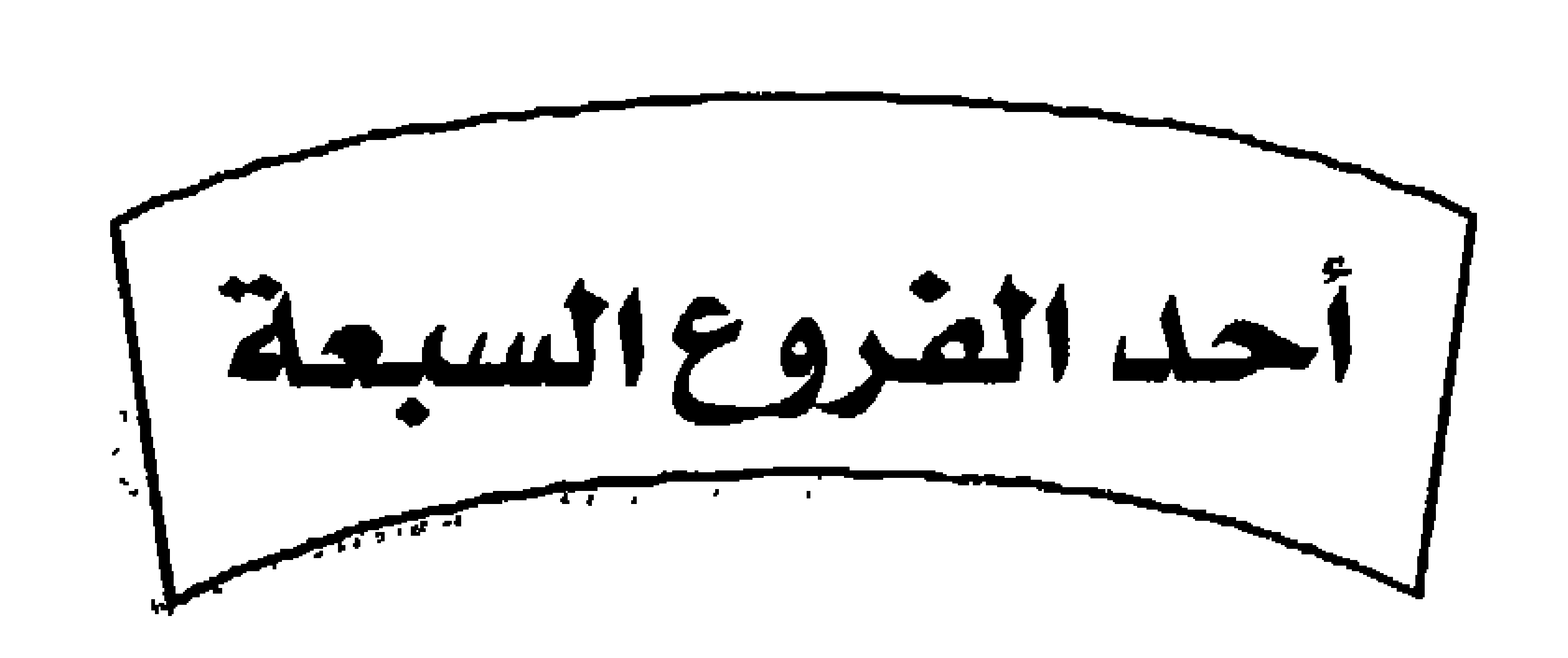
وأسرع إلى الخارج ، ودار ببصره فى الأرض الفضاء ولكن عبثاً ، فرغم إنها جريحة ولاتستطيع أن تضع قدمها على الأرض غادرت المخزن وعبرت الأرض المنبسطة .

وعاد إلى المخزن لكى يقوم بتفتيش دقيق . ولكنه لم يكن بحاجة إلى أن يبحث طويلاً فقد رأى على الأرض قطعة مربعة من الورق المقوى التقطها فإذا هى صورة للكونتس دى كاليو سترو .

وفى ظهرها سطران بالقلم الرصاص .

"شكرى لمنقذى . ورجائى أن لايحاول رؤيتى ثانية .





أحد الفروع السبعة

عاد راوول إلى دراجته وهو يسأل نفسه : ترى هل كان كل ماراه وسمعه أضغاث أحلام غريبة ومضحكة ؟!

على أنه سرعان ما أبعد عن ذهنه هذا السؤال ، فقد كانت الصورة التى بين يديه أكبر دليل على صحة الأحداث التى وقعت له أخيراً . وفوق ذلك فانه كان لايزال يذكر القبلة الملتهبة التى طبعها على شفتى جوزفين بلسامو .

لم يكن راوول داندريزى قد عرف الحب قبل الآن ، فقد كان يشغله عنه أطماع كثيرة . كان يتوق إلى المجد والشهرة وإلى الجاه والثروة . وقد ترك الظروف تسيره كيفما تشاء ، معتمداً على ماله من قوة فائقة وإرادة صلبة وذكاء خارق .

قضى يومين فى عزلة تامة فى الغرفة الأرضية التى يشغلها فى حافة القرية . قضاها فى تفكير متواصل . وفى مساء اليوم الثالث خرج يتمشى فى الضواحى . أى فى نفس الأمكنة التى يحتمل أن يلتقى فيها بجوزفين بلسامو .

كان يعتقد أن المرأة الشابة لن تعود إلى باريس لكى تحمل أعداءها على الاعتقاد بموتها ولكى تستطيع أن تدبر مشروعتها فى الانتقام منهم . وكان يعتقد ، من ناحية أخرى ، بأنها لايمكن أن تكون قد ابتعدت عن المكان الذى يعسكر فيه الأعداء .

وفى اليوم الخامس جاءته رسالة من كلاريس تقول فيها :

"هل انتهى كل شئ يا حبيبى ؟ كلا ، أليس كذلك ؟ اننى أبكى ، فليس من الممكن أن تكون قد مللت حبيبتك كلاريس . انهم سيستقلون القطار هذا المساء ولن يعودوا إلا فى اليوم التالى . انك ستأتى أليس كذلك ؟ انك لن تتركنى أبكى".

رسالة حزينة من فؤاد حزين . ومع ذلك لم يرق قلب راوول . فقد فكر فى الرحلة التى أخبرته بها ، وأدرك أنهم ذاهبون للسفر وراء الغابة التى ذكرها بومنيان أثناء اتهامه للكونتس دى كاليو سترو ، واستقرت نيته على أن يتبع البارون وأصدقائه ، ويعرف الغاية التى يسعون إليها .

وفى الساعة السابعة من مساء اليوم نفسه ، تنكر فى زى صياد ، واستقل نفس القطار الذى استقله البارون ديتيج واوسكار دى بنيتو . ونزل البارون وابن عمه فى محطة صغيرة ، فتبعهما راوول وقضى الليل فى فندق صغير .

وفى صباح اليوم التالى جاء دورمون ورولفيل وروكس دشييه فى عربة ، وإصطحبوا صديقيهما من القصر فتبعهم راوول .

توقفت العربة بعد نحو عشرة كيلو مترات أمام قصر يعرف باسم قصر جور، ولما اقتربوا من القصر رأى راوول عمالاً يحفرون وينقبون فى ممرات الحديقة ومماشيها .

وكانت الساعة العاشرة صباحاً .. واستقبل رئيس العمال الرجال الخمسة . واندس راوول بين العمال دون أن يلحظه أحد وأخذ يسألهم ، فعلم أن المركيز دى رولفيل اشترى قصر جور ، وأن عملية الحفر والتنقيب بدأت صباح اليوم بالذات وأنهم يبحثون عن شئ ثمين مخبأ فى القصر .

وراح راوول يسأل نفسه عما يفتشون ؟

وتمشى فى الحديقة ، ودار حول القصر، ونزل إلى أقبيته ، ودقت منتصف الساعة الثانية عشر دون أن يجد شيئاً ، فصعد ورأى الرجال الخمسة واقفين فى الحديقة . وكان يحيط بها اثنى عشر عموداً تكاد تتداعى .

وكان جود فرى ديتيج قد أخرج لفافة تبغ وفتش فى جيوبه فلم يجد ثقاباً فاقترب من راوول وطلبَ منه شعلة .

ناوله راوول سيجارته . وبينما كان البارون يشعل سيجارته كان قد أعد خطة في رأسه ، فرفع قبعته الرخوة ، وأنزل شعره المستعار ، فما كاد البارون يراه حتى صاح يقول :

ـ أنت ؟ ومتنكر ! ما هذه الجرأة ؟ لقد انتهى كل شئ ومن المستحيل أن أزوجك ابنتى .

أمسك راوول بذراعه وقال له فى لهجة قاطعة :

ـ رويدك . اننى ما أتيت لكى أحدثك عن ابنتك . استدع أصدقاءك . سأقدم لكم خدمة جليلة عما تبحثون ؟ عن شمعدان ذى سبعة فروع ؟ اننى أعرف مخبأه . سأسدى لك خدمات لن تنساها ، وبعد ذلك نتكلم فى زواجى من ابنتك .

تردد جود فرى . ولكن راوول كان قد نجح إلى حد بعيد فى التأثير عليه فدعا أصدقاءه وقال لهم :

ـ اننى أعرف هذا الشاب . وهو يقول انه قد يجد .

قاطعه راوول قائلاً :

ـ أنا لا أقول "قد" فأنا من أهل هذا البلد، وكنت ألعب مع أطفالها وأنا صغير . وقد أرانا البواب حلقة فى أحد جدران قبو هذا القصر

وأنا صغير وقال لنا "يوجد مخبأ هنا ، وقد رأيت فيه آثار وتحف"

- القبو ؟ إننا فتشناه .

قال راوول : ولكنكم لم تفتشوه كما يجب . سأقودكم إليه .

وتقدمهم ، وهبط درجاً أفضى إلى ممشى طويل وقال :

- الغرفة الثالثة على اليسار .

وأدخلهم جميعاً فى قبو مظلم منخفض ، وقال روكس دشييه :

- إننى لا أرى شيئاً .

قال راوول : إليك علبة ثقاب. لقد رأيت شمعة على السلم ، سأذهب وأحضرها إليكم .

قال ذلك وخرج ، وأغلق باب القبو وراءه بسرعة وأدار المفتاح فى القفل وصاح يقول :

- ابحثوا عن الشمعدان كما يحلو لكم . ستجدونه تحت البلاطة الأخيرة وقد التفت به خيوط العنكبوت .

وما كاد يفرغ من قوله حتى أخذ الرجال يدقون على الباب بقبضاتهم وينقضون عليه بمناكبهم وهم يصيحون فى غضب ، فى حين أسرع راوول وصعد الدرج ، واختطف كأساً من أحد العمال وجرى إلى العمود التاسع وأهوى بالفأس فوقه وأحدث فيه فجوة كبيرة ، ثم أدخل يده وأخرجها بفرع نحاس يعلوه الصدأ .

كان فرع شمعدان كبير من الشمعدانات التى ترى فوق المذابح .

وكان الرجال الخمسة قد حطموا الباب ، وصعدوا الدرج مسرعين ، فلما رأوا فرع الشمعدان صاحوا يقولون :

- اللص .. اقبضوا عليه .. اللص !

ولكن راوول اندفع ورأسه إلى الأمام وشق له طريقاً بين العمال ، وقفز من فوق السور إلى الخارج ، وراح يجرى بين الخرائب المهجورة وتبعه العمال والرجال الخمسة وهم يصيحون .

وبينما هو ممعن فى الهرب رأى كنيسة فعرج إليها وأبصر سوراً فى وسطه باب فاتجه إليه . وما كاد يقترب منه حتى فتح وظهرت منه يد وسمع صوتاً يقول : تعال .

كان الصوت صوت جوزفين بلسامو .

أوصدت الكونتس الباب في وجه مطاردية ، ثم أسرعت بالشاب إلى السور المقابل، ففتحت باباً خرجا منه إلى مقبرة القرية فاجتازاها ، وخرجا إلى أرض فضاء رأى راوول عربة ذات جوادين واقفة فيها ، وكان يجلس فى مكان القيادة رجل أشيب اللحية .

وقالت جوزفين : أسرع إلى طريق لونيراى ودودوفيل ياليونار . ألهب السائق جواديه ، وانطلقا بالعربة فى سرعة لاتنتظر منها .

أما راوول فقد جثا على ركبتيه أمام الكونتس ، وراح يبثها غرامه :

ـ أنت ؟ أنت ؟ ما أبدع هذا ! وما أشبهه بإحدى المسرحيات . فى اللحظة التى أوشكوا أن يقبضوا على فيها ويبطشوا بى تظهرين فتنقذينى بدورك . آه . شد ما أحبك . إننى أحبك منذ منذ سنين . منذ قرن مضى . نعم . إن حبى لك قديم . عمره مائة سنة . ولكنه لا يزال شاباً فتياً . ما أجملك ، وما أروع سحرك وفتنتك . شد ما أحب هذه الإبتسامة الغامضة التى تعلو شفتيك !

وارتجف بدنه وهتف يقول :

ـ آه .. إنك لاتصدقينى .. إنك تقبلين حبى .. ما أسعدنى بحبك ..

ما أسعدني !

فقالت ضاحكة : ولكنني لم أقبل شيئاً . إنك تبثني غرامك على الرغم من أنكِ لاتعرفني .

- بل أعرفك . وقد شاهدتك أثناء محاكمتك .

ارتسمت على وجهها امارات الجد وسألته قائلة

- محاكمتي ؟ وهل حضرتها ؟

- نعم . حضرتها . انني أعرف من أنت يا ابنة كاليو سترو . عمرك مائة سنة . و... وأنا أحبك .

غيرت الكونتس مجرى الحديث قائلة :

- سمعت انهم سيحفرون أرض الحديقة فذهبت لأرى ما يفعلون .

- إن ظهورك لمعجزة . وأنا الآخر أتيت بمعجزة . فهم يبحثون منذ أسابيع وشهور عن شمعدان ذي سبعة فروع ، وعثرت أنا عليه في بضع دقائق ، وتحت أنوفهم .

سألته تقول في لهفة ودهشة :

- ماذا تقول ؟ علام عثرت ؟

- على فرع من فروع الشمعدان السبعة . ها هو .

أخذت جوزفين الفرع وقلبته بين يديها وتمتمت تقول :

- نعم إنه هو لاشك في ذلك . أوه . إنك لاتستطيع أن تدري مبلغ سروري .

قص راوول عليها ما حدث باقتضاب ، فهتفت تقول بدهشة :

- هذا غريب .. ولماذا هويت على العمود التاسع دون غيره .. أكان هذا صدفة واتفاقاً ؟

ـ كلا .. إن الأحد عشر عموداً يدل شكلها على إنها بنيت فى القرن السابع عشر .. أما العمود الآخر، وهو التاسع ، فقد كان شكله يدل على أنه هدم ثم بنى من جديد، فلماذا هدم وأعيد بناؤه إذا لم يكن لتخبئة شئ .

سكتت جوزفين لحظة ثم قالت :

ـ هذه معجزة حقاً .

فقال راوول :

ـ معجزة حب .

التفتت الكونتس إلى الشاب وسألته قائلة :

ـ هل كان بومانيان معهم ؟

أجاب : كلا . وهذا من حسن حظه

ـ من حسن حظه ؟

ـ نعم وإلا لكنت خنقته . اننى أكره هذا الرجل .

ـ وأنا أيضاً أكرهه .

قال وهو لايستطيع أن يكظم غيظه من فرط ما يشعر به من غيرة :

ـ ولكنك لم تكرهيه دائماً !

أجابت فى توكيد من غير أن ترفع صوتها :

ـ هذا كذب وافتراء .. إن بومانيان محتال ومخبول ، سقيم فى كبريائه ، وقد أراد موتى لأننى صددت حبه كل ذلك ذكرته فى ذلك اليوم ولم يعترض .. وما كان يستطيع أن يعترض .

جثا راوول على ركبته من جديد فى ضفرة من الحماس وقال :

- آه .. يا للكلمات الحلوة . أنت لم تحبيه أبداً إذن .. يا لسعادتى وفرحتى ! ولكن كيف أمكن أن نعتقد هذا ؟ جوزفين تحب بومانيان .

وضحك ، وصفق بيديه ، واستطرد :

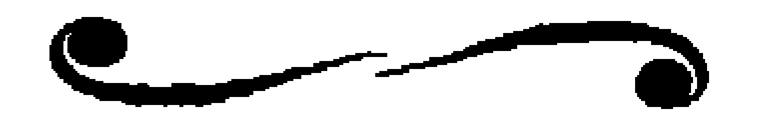
- اسمعى . ان لا أريد أن أدعوك هكذا .. إن اسم جوزفين ليس اسماً جميلاً . هل تريدين أن أدعوك جوزين كما كان نابليون يدعوك ، وكما كانت أمك دى بوهارنية تفعل . اتفقنا ؟ أليس كذلك ؟

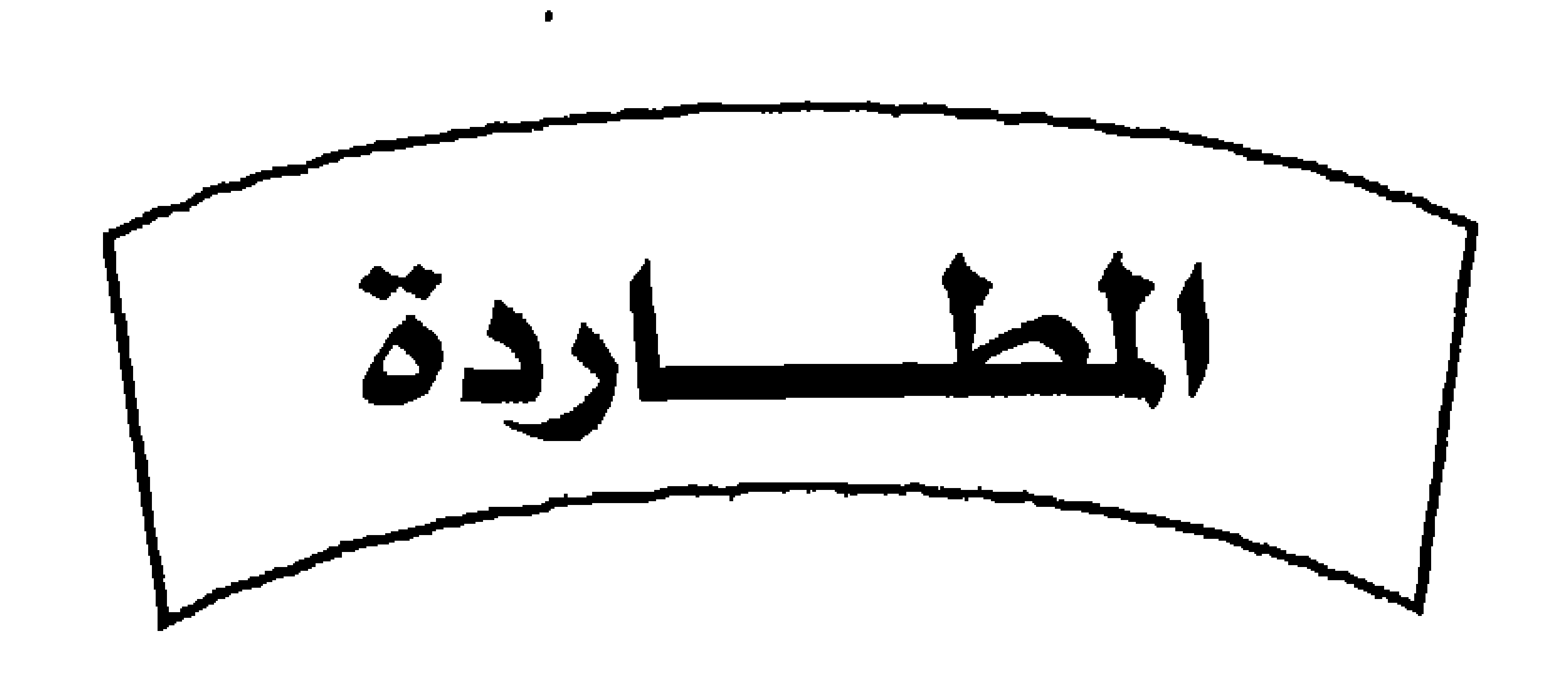
أنت جوزين . جوزينتى .

قالت وهى تبتسم إزاء تصرفه الصبيانى :

- شئ من الاحترام أولاً . أنا لست جوزينتك .

- شئ من الاقدام ! كيف هذا ، إننا منفردين أحدنا بجوار الآخر . وأنت بغير دفاع ، وأنا ساجد أمامك فى خشوع . أنا خائف . وارتجف وإذا أعطيتنى يدك لكى أقبلها فلن أجرؤ .





مرت العربة بعد قليل بمحطة دودفيل ، وسارت فى طريق تحفه الأشجار ، وقالت الكونتس :

- لنهبط هنا .. هذه الساحة ملك لامرأة طيبة تدعى الأم فاسور، ولها حانة تقع على مقربة من هنا.. اننى أجيئ إلى هنا فى بعض الأحيان، فأستريح يوماً أو يومين . سنتناول طعام الغذاء هنا ثم نرحل بعد يا ليونار .

واقتربا من الحافة ، ودخلا بهوها وسمعا صوت رجل يتحدث فى إحدى الغرف الداخلية فقالت :

- هذه هى الغرفة التى أتناول فيها طعامى كلما أتيت إلى هنا . لاريب إنها تتحدث مع بعض الفلاحين .

وما أتمت كلامها حتى فتح الباب ، وخرجت منه امرأة عجوز ما كادت تراها حتى ظهر عليها الخوف والارتباك فسألتها جوزفين فى قلق :

- ما الخبر ؟

تهالكت الأم فاسور فوق مقعد وتمتمت

- أسرعى بالهرب . إن البوليس يبحث عنك ، وقد فتشوا الغرفة التى توجد بها حقائبك . إن الشرطة ستأتى الآن . إنجى بنفسك وإلا هلكت

استولى الفزع على الكونتس عندما سمعت هذه الكلمات ثم تحولت إلى راوول فى توسل واستعطاف ، فشحب وجهه وأمسك بذراعها وأرغمها على الخروج .

وسارت جوزفين إلى الباب ، بيد أنها ما لبثت أن ارتدت قائلة :

ـ الشرطة . الشرطة .

وقال راوول فى هدوء :

ـ رويدك . رويدك . أنا ضمين بكل شئ . شرطيان فى الخارج . ورجلان من رجال البوليس فى الداخل . إن القوة لن تجدى . أين الحقائب التى فتشوها ؟ فوق . حسناً . إبقى مكانك يا مدام فاسور ، وتمالكى نفسك ولا تخافى . اننى الضمين.

وأخذ بيد جوزفين وصعد معها السلم ، وتقدمها إلى الغرفة التى ذكرتها له الأم فاسور . كانت الثياب والمفروشات مبعثرة على أرضيتها ، فاقترب راوول من النافذة ورأى الشرطيان يترجلان عن جواديهما ، فتحول إلى جوزفين وقال :

ـ أسرعى . يجب أن تستبدلي ثيابك . البسى ثوباً آخر ، والأفضل أن يكون ثوباً أسود .

وعاد إلى النافذة ، وأخذ يراقب رجال البوليس والشرطة . وعندما انتهت من استبدال ثوبها أخذ الثوب الرمادى الذى خلعته ولبسه . كان رشيق الجسم ، معتدل القامة ، وناسبه الثوب كل المناسبة وغطى ساقيه تماماً .

ودخل الرجال الأربعة قلعة الحانة وسمع راوول أحدهم يسأل :

ـ هل أنتما واثقان من أنها ستقيم هنا . عندما تأتى ؟

ـ كل الثقة والدليل على ذلك وجود حقيبتها ، أن على إحداهما

بطاقة مكتوب عليها اسمها مدام بللجريني، وهم اسم اللصة المشهورة التي نبحث عنها إنها ارتكبت بعض السرقات في روان ودييب ، وقد فقدنا أثرها ، وعلمنا أنها استقلت القطار، غير أنها اختفت ، فلم نعرف هل ذهبت إلى الهافر أو فيكامب ، ووقعنا أخيراً على أثرها هنا .

قال أحد الشرطيين . إننا رأينا امرأة تدخل الحانة ونحن قادمان.

وظهرت بالباب ثم ارتدت في الحال ، كما لو أنها خشيت أن يراها أحد وقد لاحظت انها تلبس قبعة عريضة ، ولا ريب انها هي التي نبحث عنها

وكانت قبعة جوزفين لاتزال على رأسها ، فانتزعها راوول ووضعها على رأسه فأخفت جزءا من وجهه . ثم تحول إليها وقال

ـ سأمهد لك الطريق . اخرجي بمجرد أن يبتعدوا، واذهبي إلى عربتك . لاتتعجلي، واحتفظي بهدوئك ورباطة جأشك . ومري ليونار أن يتأهب للانطلاق بالعربة . أما أنا فسألحق بك بعد عشرين دقيقة .

واقترب من النافذة ، وتعلق بالمواسير ، وهبط إلى الحديقة ، وصرخ كما لو أنه رأى أشخاصاً يخافهم وراح يجري مسرعاً

ولفتت صرخته انتباه رجال البوليس ، فصاحوا بدورهم وركضوا وراءه ، وهم يقولون

ـ إنها هي . ثوب رمادي ، وقبعة عريضة .

خرج راوول إلى الشارع العمومي . وتوغل في الأحراش . وصعد اكمة ثم هبطها ، ثم ارتقى اكمة أخرى، وكان قد ابتعد عن مطارديه بمسافة طويلة فخلع الثوب الرمادي والقبعة العريضة وأخفاهما وسط الأعشاب ، ثم أخرج من جيبه قبعة رخوة من قبعات البحارة ووضعها

على رأسه . ثم اشعل سيجارة وعاد بهدوء واضعاً يديه فى جيوبه .

والتقى به رجال البوليس فى منتصف الطريق فاستوقفوه وسأله أحدهم قائلاً :

- قل لنا يا صاح . ألم ترا مرأة ؟ امرأة ترتدى ثوباً رمادياً ؟

أجاب :

- رأيتها .. لقد كانت تجرى .. وقد قفزت من فوق هذا السور .

اندفع الرجال نحو السور فى حين أسرع هو إلى حيث العربة وقال :

- إلى ايفيتو ياليونار .

ومرا بالحانة ، فرأوا رجال البوليس عائدين ومعهم الثوب الرمادى والقبعة العريضة ، فضحك راوول وقال :

- لقد عثروا على ثوبك ، وهم لايبحثون عنك الآن يبحثون عن البحار الذى التقوا به فى الطريق وخدعهم ، ماذا يفعلون لو عرفوا أننا فى العربة .

انطلقت العربة إلى طريق آخر فالتفت راوول إلى جوزفين وسألها:

- أين نذهب ؟

فردت عليه قائلة :

- إلى شاطئ السين .

وكانت أمامها مرآة صغيرة رأى فيها صورة جوزفين .. وما كاد يراها حتى استولت عليه دهشة كبيرة وتملكه ذهول عظيم ، فقد تغيرت ملامحها وعلت وجهها الغضون والتجعدات ، وارتسمت عليه أمارات الحزن والأسى ، وفتحت جوزفين حقيبة يدها ، أخرجت منها

مرآة صغيرة ذات إطار ذهبى سكبت عليها نقطتين من سائل فى قنينة صغيرة ثم مسحتها بقطعة من الحرير ونظرت إليها .

مرت عشر دقائق ، ثم خمس أخرى ، فى الصمت والجهد الظاهر لنظرة تركزت فيها كل ارادتها وعزيمتها . وكانت الابتسامة هى التى ظهرت أولاً ، فى تردد وحياء ، كشعاع شمس الشتاء . ثم غدت أكثر جرأة ، كشفت عن نفسها بنقاط صغيرة انبثقت أمام عينى راوول المذهولتين . وازداد ارتفاع ثنية الفم ، وتشبعت البشرة بالون وبدا كأن اللحم يزداد قوة ، واستعادت الوجنتان تقاطيعهما هى والذقن ، وتألق كل وجه جوزفين بلسامو بالجمال والرقة .

وتمت المعجزة .

قال راوول يحدث نفسه :

ـ معجزة ؟ كلا ، أو بالأخرى معجزة إرادة ونية صادقة صلبة لا ترضى بالفشل وتعيد النظام حيث الاختلال والارتخاء . أما الباقى . المرآة والقنينة والقطرات السحرية فما هو إلا تظاهر وخداع .

وأخذ المرآة ، وكانت قد وضعتها بجوارها وفحصها . كان من الواضح أنها هى المرأة التى تكلم عنها البارون ديتيج والتى قال أن الكونتس دى كاليو سترو استخدمتها أمام الملكة أوجينى . وكانت جوانبها منقوشة وعلى قبضتها تاج الكونتيسة وتاريخ ١٧٨٣ ، والرباعية التى تتحدث عن الكنز .. وأحس راوول بحاجته إلى أن يجرحها فقال :

ـ لقد أورثك أبوك مرآة ثمينة ، فبفضل هذا الطلسم تستردين نشاطك بعد الانفعالات البغيضة .

قالت فى الواقع اننى فقدت عقلى ، ونادراً ما يحدث هذا ، وقد سبق أن تمالكت نفسى فى ظروف أشد خطراً من هذه .

أحس راوول أن تلك المرأة التى كانت شديدة القرب منه قبل ذلك بساعتين ، والتى قدم لها حبه بمرح وسرور تبتعد عنه فجأة إلى حد أنها أصبحت غريبة عنه .. لم يعد بينهما أى اتصال ، فان روحاً غامضة تحيط بها فى ظلمات كثيفة إلى حد أن ما يره منها الآن يختلف جداً عما تصوره .

روح لصة . روح خفية وقلقة . عدوة النهار والوضوح . فهل هذا ممكن ؟ أيمكن أن يكون هذا الوجه الصافى لوجه عذراء جاهلة ، وأن تكون تلك النظرة الصافية كماء النبع ، أيمكن أن يكون كل ذلك مظهراً خادعاً ؟

أحس بخيبة أمل كبيرة وهو يجتاز مدينة إيفتو الصغيرة ، ولم يعد يفكر إلا فى الهرب ، ولكنه لم يستطيع أن يتخذ القرار، الأمر الذى ضاعف غضبه . وعادت إليه ذكرى كلاريس ديتيج ، وتذكر لمجرد لحظة ، المخلوقة الوديعة التى استسلمت له طواعية .

ولكن جوزفين لم تتخل عن فريستها، فرغم ما رآه من ذبولها، ورغم ما طرأ عليها من تغيير ، فقد تصاعدت منها رائحة عطرة مسكرة ، ولامسته ثيابها. وكان فى استطاعته أن يأخذ يدها الرقيقة ويطبع عليها قبلة . كانت بالنسبة له كل الحب وكل الرغبة وكل الشهوة وكل غموض المرأة الساحرة الفاتنة . واضمحلت من جديد ذكرى كلاريس ديتيج وتلاشت ، تمتم فى صوت خافت لم تسمعه :

- جوزين . جوزين .

ولكن ما الجدوى من البوح بحبه وغرامه . هل يمكنها أن تعيد إليه الثقة الضائعة، وأن يجد فى عينيها السحر الذى لم يعد له وجود .

وقفت العربة بعد قليل أمام شاطئ نهر السين ، فهبطت جوزفين وتحولت إلى راوول وقالت :

- الوداع يا راوول .. إن محطة ماليرية قريبة .

فسألها قائلاً .. وأنت ؟

- اوه ، إن بيتى قريب .

- ولكننى لا أرى بيوتاً .

- إننى أقيم فى هذا الزورق الذى تراه هناك .

- سأرافقك .

كان هناك طريق ضيق يقطع المرج وسط البوص ، سلكته الكونتس ، وتبعها راوول ، وكان الزورق فى الخلفية ، يخفيه ستار من الأشجار . ولم يكن باستطاعة أحد أن يراهما ويسمعهما . كانا وحدهما تحت السماء العريضة الزرقاء. وهناك ، مرت بهما بضع دقائق ، من تلك الدقائق التى تظل ذكراها فى الذهن طوال العمر . وقالت جوزفين بلسامو للمرة الثانية :

- الوداع . الوداع .

وتردد أمام اليد المبسوطة للوداع الأخير فقالت :

- ألا تريد أن تضغط على يدى .

قال : نعم ، نعم . ولكن لماذا نفترق .

- لأنه لم يعد لدينا ما يقال

- هذا صحيح .. ومع ذلك فنحن لم نقل شيئاً .

وانتهى بأن أخذ اليد الباردة الرقيقة بين يديه وقال :

- إن كلمات هؤلاء الرجال .. واتهاماتهم فى الحانة .. أهى إذن الحقيقة ؟

كان يتمنى تفسيراً ولو كاذباً ولكنها قالت :

ـ تريد أن تقول إننى لصة ، أليس كذلك ؟ لصة .

ـ نعم .

ابتسمت وقالت :

ـ وأنت يا صغيرى ؟ ماذا تكون ؟ إذ يجب أن تكشف لى حقيقتك أنت أيضاً . من أنت ؟

ـ اسمى راوول داندريزى .

ـ أنت تمزح .. اسمك أرسين لوبين .. وأبوك اسمه تيوفراست لوبين ، وكان يعلم الملاكمة والجمباز ، ويزاول مهنة تدر ربحاً أكثر وهى مهنة اللصوصية .. وقد اعتقل فى الولايات المتحدة وحكم عليه بالسجن ومات فيه .. واستردت أمك اسم العائلة وعاشت فقيرة عند ابن عم بعيد لها هو الدوق دى درو سوبيز .. وذات يوم اكتشفت الدوقة سرقة حلية نفيسة ، لم تكن غير عقد الملكة مارى انطوانيت (ورغم كل الأبحاث لم يعرف أحد اللص الذى قام بهذه السرقة) بذكاء كبير وببراعة شيطانية . أما أنا فأعرفه ، فهو أنت . وكنت عندئذ فى السادسة من عمرك .

أصغى راوول وهو ممتقع اللون ومتوتر الفكين وقال :

ـ كانت أمى تعيسة ومهانة وأردت إسعادها .

ـ بالسرقة .

ـ كنت فى السادسة من عمرى .

ـ وأنت الآن فى العشرين ، وقد ماتت أمك ، وأنت قوى ، ولك إرادة كالحديد ، فكيف تعيش ؟

ـ إننى اشتغل .

ـ نعم ، فى جيوب الآخرين .

ولم تترك له الوقت للاحتجاج واستطردت :

ـ إننى لا أقول شيئاً ياراوول .. أننى أعرف حياتك بأدق تفاصيلها، واستطيع أن أسرد عليك أحداثاً وقعت هذه السنة وأخرى أكثر قدماً، لأننى أتتبع آثارك منذ وقت طويل. وكل ما سأقوله لك لن يكون أفضل مما سمعته منذ لحظات فى الحانة .. رجال بوليس .. وشرطة .. ومطاردات . إنك مررت بكل هذا أنت أيضاً فلا داعى للوم والتجريح ، وأقول لك للمرة الأخيرة : وداعاً يا راوول .

تمتم : كلا . كلا .

ـ بل لابد من ذلك يا صغيرى، فلن ينالك منى غير الآلام والأحزان . لاتحاول أن تربط حياتك بحياتى فأنت طموح ونشيط ولك مزايا تستطيع بها أن تشق طريقك وحدك .

وأردفت تقول فى صوت أشد خفوتاً :

ـ والطريق الذى أسلكه ليس طريق الخير .

ـ لماذا تسلكينه إذن يا جوزفينى ؟ هذا هو ما يخيفنى بالذات .

ـ لقد فات الأوان .

ـ وفات الأوان بالنسبة لى أنا أيضاً .

ـ كلا . أنت مازلت شاباً فانج بنفسك ، وأفلت من القدر الذى يهددك .

ـ وأنت يا جوزين ؟

ـ أنا ؟ هذه حياتى .

ـ حياة بشعة . بغيضة .

ـ إذا كان الأمر كذلك فلماذا تريد أن تربط حياتى بحياتك ؟

ـ لأننى أحبك يا جوزين .

ـ اليوم . ولكن ماذا يكون الأمر غداً ؟ أطع الأمر الذى نصحتك به . إننى قلت لك منذ أول لقاء . لاتحاول أن ترانى ثانية . فامضى .

قال راوول فى بطء : نعم ، نعم ، أنت على حق . ولكن من الفظاعة التفكير فى أن كل شئ سينتهى بيننا حتى قبل أن أجد الوقت للرجاء والأمل . وأنك لن تتذكرينى .

ـ إن المرء لاينسى من أنقذه مرتين .

ـ هذا صحيح . ولكن ستنسين أننى أحبك .

هزت رأسها وقالت :

ـ كلا . لن أنسى ذلك . إن حماسك وإخلاصك وبساطتك وأشياء أخرى لا أتبينها بعد . كل ذلك يؤثر فى كل التأثير .

واحتفظ كل منهما بيد الآخر فى يده ، ولم تفترق عيناهما وقالت له فى رفق :

ـ عند الفراق الأبدى يجب إعادة ما أخذه كل منا للآخر ، فاعد إلى صورتى يا راوول .

ـ كلا .

قالت فى ابتسامة أثملته : سأكون إذن أكثر أمانة ، سأعيد إليك باخلاص ما أعطيتنى إياه .

ـ وما هو يا جوزين .

ـ فى الليلة الأولى فى المخزن ، بينما كنت نائمة انحنيت فوقى يا راوول وأحسست بشفتيك على شفتى . وعقدت يديها خلف عنقه وجذبت رأسه إليها والتقت شفاههما ، فقال فى وجد ووله :

ـ آه يا جوزين ! افعلى ما تريدين . إننى أحبك . أحبك .

وسـارا على شـاطئ السين .. وتراقص البـوص أمامـهـمـا وتلاعب الهواء بثيابها ومضيا نحو السعادة ، دون أية أفكار أخرى ، إلاتلك التى تثير بلبلة العشاق الذين تتشابك أيديهم . وقالت :

ـ كلمـة أخـيـرة يا راوول . أشـعـر بأننى سـأكون عنيفة ومـتـحـيزة . أليس هناك نساء غيرى فى حياتك ؟

ـ كلا .

قالت آسفة : آه . أتكذب هكذا حالاً ؟

ـ أكذب ؟

ـ وكـلاريس ديتـيـج ؟ نعم . كنتـمـا تتـواعـدان فى الحـقـول . وقـد شوهدتما .

احتد وقال : هذه قصة قديمة . غزل لا أهمية له .

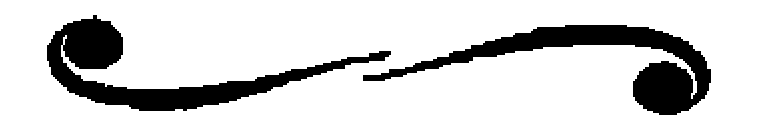
ـ هل تقسم ؟

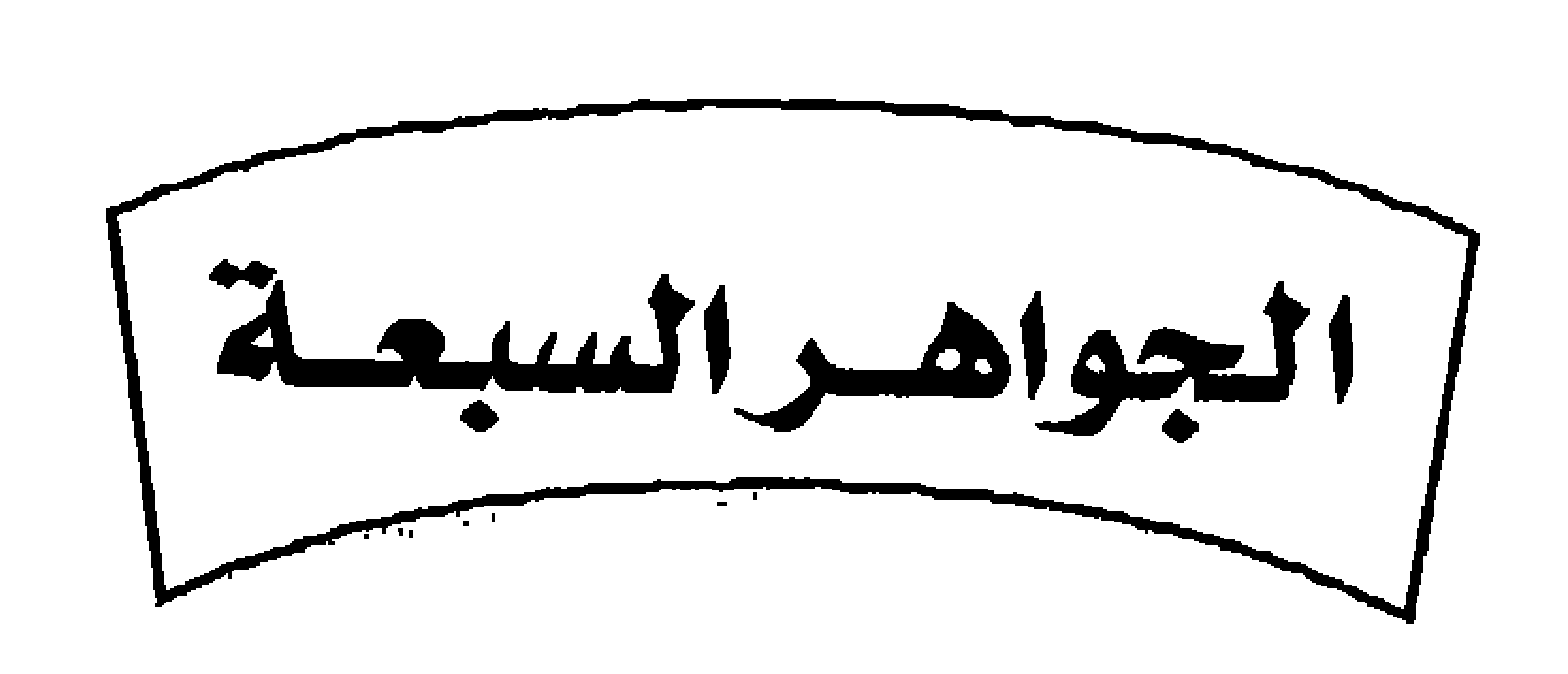
ـ أقسـم .

قالت فى صوت قاتم .

ـ هذا أفـضـل . أفـضل من أجلها . وعليـهـا أن لاتتـسلل بيننا ، وإلا ...

جذبها إليه قائلاً : إننى لا أحب غيرك يا جوزفين .. لم أحب أحداً أبداً غيرك .. إن حياتى تبدأ اليوم .





الجواهر السبعة

قضى راوول شهراً مع عشيقته على ظهر الزورق . شهراً جميلاً نعم فيه بسعادة غامرة وصل فيه على كنوز من البهجة والفرح ، فكانا يخرجان كل يوم للنزهة فى غابة بروتون وخرائب جوميج ودير القديس وهو يطوقها بذراعه .

وأشرقت أسارير جوزفين وتألقت بشرتها ، وخيل إليها أنها تعيش فى حلم لذيذ . كان كل يوم يزيدها قرباً من عشيقها ، فأحبته حباً ملك كل عواطفها وعرفت فيه معنى الهناء والشقاء .

وجاء ليونار بالعربة فى نهاية الأسبوع الثالث ، فركبتها الكونتس ، ولم تعد إلا فى المساء ، وأنزل ليونار فى الزورق صناديق صغيرة ملفوفة فى أغطية من القماش، وفتح باباً فى سطح الزورق لم يكن راوول قد لحظه من قبل ، وأنزلتها منه .

وفى منتصف الليل فتح راوول ذلك الباب وفحص الصناديق فوجد بداخلها تحفاً فنية نفيسة وثياباً فاخرة مطرزة بالدانتلا .

وفى اليوم التالى ركبت العربة أيضاً . وكان راوول قد تملكه الملل فاستأجر دراجه وراح يتجول بها فى القرى المجاورة . فلما بلغ مدخل أول قرية رأى جمعاً من الناس أمام بيت فاقترب ، وسأل عن سبب تجمعهم ، فقيل له أن بالبيت مزاداً علنياً .

دار راوول حول القصر فرأى سلماً خشبياً على الأرض ، فى

الناحية الخلفية وبدون أن يدرى مايفعل اسنده إلى الجدار وصعد إلى النافذة ووثب منها إلى الداخل . وما كاد يفعل حتى سمع صرخة خافتة فالتفت ورأى أمامه جوزفين بلسامو ، وكانت قد تغلبت على خوفها ، فقالت :

ـ أوه . أهذا أنت يا راوول ؟ إننى أشاهد مجموعة من الكتب المجلدة

لزم راوول الصمت ، وفحص الكتب وغافل الكونتس ودس فى جيبه ثلاث ماسات من إحدى الفترينات فى حين غافلته الكونتس وأخفت فى جيبها بضع ميداليات أثرية من فترينة أخرى .

وهبطا السلم واندسا بين الموجودين دون أن يفطن إليهما أحد . وكانت العربة تنتظر على مسافة ثلاثمائة متر فركباها .

ومنذ ذلك اليوم أخذا يعملان معا ، فكان فى كل مغامرة جديدة يكتشف فى نفسه مواهب جديدة مختفية لم يكن يعرفها . وكان فى بعض الأحيان يلعق لسانه فى غبطة وابتهاج فتنظر إليه فترى ساعة ثمينة أو دبوساً جديداً مشبوكاً فى رباط رقبته . كل ذلك وهو محتفظ بهدوئه ورباطة جأشه .

وأدرك راوول عندئذ حقيقة حياة عشيقته ، وتأكد أنها على رأس عصابة قوية محكمة التدبير فتلقى أوامرها عن طريق ليونار . وتأكد أنها ، هى الأخرى ، تسعى وراء لغز الشمعدان ذى السبعة فروع .

وشخصان هذه حقيقتهما وطريقة معيشتهما سرعان ما يتغير حبهما ويتحول مع الأيام إلى عداء وبغضاء وغيرة وكراهية .

وانتهى غرامهما الممتع فى يوم التقيا فيه ببومانيان والبارون ديتج وبنيتو ، وشاهداهما يدخلان مسرح الفارتيته .

ودهش راوول لذلك ، لاسيما أن المسرح من مسارح الدرجة الثانية ، وأراد أن يتبعهم ولكن جوزفين ترددت بيد أنه أرغمها على الدخول معه وقد أحنقه هذا التردد .

وجلسا فى بنوار مظلم . أما بومانيان وصديقاه فقد جلسوا فى بنوار أمامى فلم يستطيع راوول أن يراهم .

وكان النقاد قد قابلوا المسرحية التى تمثل بتهمكم شديد وسخرية لاذعة وأجمعوا على تفاهتها فازداد عجب راوول عندئذ وأخذ يتساءل عن سبب حضور الأصدقاء الثلاثة إلى ذلك المسرح ؟

وألقى راوول هذا السؤال على جوزفين بلسامو فهزت كتفيها ولم تجبه ، فأدرك أنها لاتريد إطلاعه على شئ ولاتريد مساعدته فأحنقه ذلك وقال بلهجة الحزم :

- لابأس . فليتبع كل منا طريقه ، وسنرى من منا سيكون الرابح .

ورفعت الستار فى هذه اللحظة وظهرت راقصة تلبس ثياباً تتدلى منها جواهر زائفة كانت تتموج على جسدها وهى ترقص . وكانت تضع حول رأسها شريطاً موشى بالأحجار الكريمة اللامعه المتلألئة فكان يخيل للرائى أن الأنوار فوق جبهتها ورأسها .

وانتهت الراقصة من دورها وهبطت الستار ثم رفعت وقدم فصلان من المسرحية ثم أضيئت الأنوار للاستراحة .

نهض راوول من مكانه عندئذ ، وذهب إلى البنوار الأمامى الذى رأى الأصدقاء الثلاثة يدخلون فيه . ولما اقترب منه وجد الباب موارباً فدفعه إلى الداخل فى هدوء وأطل منه بحذر ولكنه لم يجد أحداً . ولما سأل عنهم قيل له أنهم غادروا المسرح منذ نصف ساعة .

وعاد إلى صديقته ، ورفعت الستار فى هذه اللحظة وظهرت

الراقصـة مـرة أخـرى ، فنظر راوول إلـى الشـريط الموشـى بالأحـجار ، وما كـاد يفعل حتي بدا عليـه الاهتمـام، فقد كـان الشريط من الذهب بـه سبع جواهر كبيرة مختلفة الألوان ، فتمتم يقول بين أسنانه :

ـ سبع جواهر . هذا هو سبب قدومهم !

واستعلم عن الراقصة وعرف أن اسمها بريجيت روسلان ، وأنها تقيم هى وخادمة عجوز تدعى فالنتين فى بيت فى ضاحية مونمارتر .

غادر راوول الزورق فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى ومضى إلى مونمارتر ، وسلك طريقاً غير ممهد حتى بلغ بيت بريجيت روسلان ، وكان ملاصقاً لبيت آخر فيه طابق شاغر من السكان . وراح يسير جيئة وذهاباً كما لو كان ينتظر أحداً ثم غافل البوابة ودخل البيت وصعد إلى الطابق الشاغر ، وتحقق من أن أحد لايراه ثم قفز من النافذة إلى سطح البيت الذى تقيم فيه بريجيت .

رأى فتحة صغيرة فى السطح تؤدى إلى غرفة تستعمل مخزناً للأشياء القديمة المستهلكة فقفز منها إلى الداخل .. وكان الباب موصداً ولكنه وجد كوة فى أرض الغرفة تطل على بسطة السلم فحاول أن يفتحها وفيما هو يفعل سمع فى الغرفة التى تحته امرأتان تتحدثان فأدرك أنهما بريجيت والخادمة فالنتين .. وساءه ذلك لأنه كان يظن انهما فى الخارج ، وكان يريد أن يفتش البيت دون أن يزعجه أحد ، ورأى أن ينتظر مكانه إلى أن يخلو له الجو .. ولكن ما أن مرت به بضع لحظات حتى سمع جرس الباب يدق وبريجيت تصيح قائلة : هذا غريب إننى لا أنتظر أحداً اليوم . اذهبى يا فالنتين وانظرى من الطارق .

وسمع الخادمة تهبط ثم تعود بعد هنيهة وتقول : إنه سكرتير مدير المسرح . وقد أعطانى رسالة لك . وأدخلته إلى الصالون .

فضت بريجيت الرسالة وقرأت بصوت مرتفع :

"عزيزتى الآنسة روسلان ، أرجو أن تعطى جواهرك لسكرتيرى إننى بحاجة إليها لعمل نسخة منها ، وستجدينها عند عودتك إلى المسرح .

قال راوول : آه . الجواهر . هل يهتم المدير بهذا اللغز أيضاً ؟

وهل ستعطيهما بريجيت لهذا السكرتير .. وسمعها تقول :

- ولكننى لا أستطيع ، فقد وعدت بأن أعطيها لشخص آخر .

ليقل للمدير اننى آسفة واننى سأشرح له السبب هذا المساء .

خرجت فالنتين . وجلست بريجيت أمام البيانو وأخذت تعزف .

ولم يلبث راوول أن سمع شخصاً يصعد السلم بعد لحظات . وفجأة أمسكت الفتاة عن العزف وسمعها تسأل فى قلق :

- من أنت ؟ آه ، السكرتير . ولكن ماذا تريد يا سيدى ؟

فرد الرجل قائلاً : لقد كلفنى المدير بإحضار السبع جواهر ولذلك تريننى مضطراً إلى العودة إليك .

ولكننى رددت عليك .. ألم تقل لك الخادمة .. لماذا لم تصعد معك . فالنتين .. فالنتين .

فلم تسمع أى رد فصاحت تقول فى خوف

- فالنتين . آه . إنك تخيفنى يا سيدى . أن عينيك .

سمع راوول الباب يصطفق ، ثم مقعداً يقع أعقبه صوت شجار وعراك ، وبريجيت تصيح طالبة النجدة .

عند ذلك عالج غطاء الكوة وبذل جهده حتى فتحه وتدلى منه إلى البسطة ، فوجد أمامه ثلاثة أبواب كلها موصدة .

اندفع إلى واحد منها واقتحمه فوجد نفسه فى غرفة أثاثها مقلوب وكل ما فيها مبعثر ، فأسرع إلى الغرفة الداخلية ، ورأى رجلاً منحنياً فوق إمرأة طريحة فوق البساط وهو يخنقها بكلتا يديه . وكانت الفتاة تصيح فى صوت متقطع تكاد الروح تفارق صاحبته .

فهجم على الرجل ورفعه عن جسد فريسته ، فتدحرج الاثنان على أرض الغرفة ، واصطدمت رأس راوول بالموقد فكاد يفقد رشده .

كان راوول شاباً فى العشرين من عمره ، نحيف الجسم فى حين كان خصمه يفوقه قوة . ومع ذلك تغلب راوول عليه وطرحه أرضاً فى أقل من دقيقة ، ثم أسرع إلى الفتاة المسكينة وحملها بين ذراعيه ووضعها فوق الفراش .

كانت قد فقدت رشدها ، فانحنى فوقها، وفحص عنقها ، فوجدها لاتزال على قيد الحياة فأسرع إلى النافذة وفتحها على مصراعيها، ثم تحول إلى الرجل ، وقلبه على ظهره ، وما كاد يفعل حتى ارتد إلى الخلف مذهولاً ، وقال وهو لايصدق عينيه : ليونار . ليونار .

وقف راوول هنيهة وهو مشدوه ، وأخيراً جر الرجل إلى العربة المجاورة وشد وثاقه إلى قاعدة مقعد مستطيل ، ثم هبط السلم إلى الطابق الأرضى ، وبحث عن الخادمة فوجدها مقيدة ومكممة كما كان يتوقع ، ففك قيودها ورفع الكمامة عن فمها وقال لها :

أنا مخبر، وقد أنقذت سيدتك فامضى إليها واعتنى بها . أما أنا فسأهتم بذلك الرجل وأرى إن كان له شركاء .

ووقف يفكر هنيهة وهو محتفظ بهدوئه وعدم اكتراثه اللذين عرف بهما فيما بعد . وأخيراً ذهب إلى الباب العمومى وفتحه قليلاً ، وأطل منه فى حذر ، فرأى عربة الكونتس واقفة على مقربة منه.

أغلق الباب عندئذ وقد استوثق من شكوكه وعقد العزم على أن

يمضى فى هذه المسألة إلى النهاية مهما حدث .

وكان قد سقطت من ليونار أثناء تدحرجه صفارة خشبية كبيرة ، وعلى الرغم من الخطر الذى كان يستهدف له فقد سارع وأمسكها كما لو أن لها قيمة كبيرة . وقد استغرب لذلك وتساءل لماذا فعل ليونار ذلك ؟

خطر أن ليونار ربما يستعملها لإخطار شريكته .. فاقترب من النافذة وأطلق صفيراً ثم ارتد وراء الستار وانتظر .. وما هى إلا هنيهة حتى فتح الباب العمومى ودخلت جوزفين .

دخلت بهدوء غريب كأن ليونار لم يرتكب شيئاً ، وكأنها داخلة لزيارة صديقة لها .

وأسرع راوول فنادى فالنتين وقال لها : لاتنطقى بكلمة واحدة . هناك مؤامرة تدبر ضد بريجيت روسلان ، وأريد أن اكشف عنها ، فالزمى الصمت .

وأغلق باب الغرفة التى فيها بريجيت وأسرع إلى الغرفة المجاورة ، وكانت جوزفين قد بلغت البسطة الأولى فوقع نظرها عليه ، كما رأت ليونار، مشدود الوثاق ، داخل الغرفة .

ورغم ذلك فقد ظلت محتفظة بهدوئها، ولم تظهر عليه أية أمارات تدل على القلق والاضطراب ، بل وقفت تفكر وتسائل نفسها كيف جاء راوول إلى هذا البيت وماذا يفعل ومن الذى قيد ليونار ؟

وأخيراً رفعت حجابها الرقيق وسألته قائلة :

ـ لماذا تنتظر إلى هكذا يا راوول ؟

سكت سكتة قصيرة ثم قال وهو ينظر إليها ملياً :

ـ قتلت بريجيت روسلان .

- قتلت ؟

- نعم . قتلها ليونار .

بان على وجهها دلائل الذعر والاضطراب ، وهمست تقول :

- ليونار ؟ أهذا ممكن ؟

- نعم . ليونار . وقد فاجأته وهو يخنقها .

زاد اضطرابها وتهالكت على المقعد قائلة :

- آه . الشقى ! الشقى ! أهذا ممكن ؟

وأردفت تقول فى صوت أشد خفوتاً :

- قتلها . قتلها . أهذا ممكن . لقد أقسم لى أنه لن يقتل أبداً.. آه . لايمكننى أن أصدق . أواه . راوول . راوول .

لم يدر راوول هل هى صادقة أن إنها تفتعل الحزن والجزع !

أما هى فقد رفعت رأسها وحدقت فى راوول ثم أمسكت به قائلة :

- راوول .. راوول .. لماذا تنتظر هكذا ؟ كلا ، كلا . إنك لاتتهمنى ، أليس كذلك ؟ اواه . إن هذا فظيع . هل تصدق أننى أمرته بأن يقتلها كلا . كلا يا راوول .

فدفعها عنه بوحشية وأخذ يسير جيئة وذهاباً ثم عاد إليها وأمسك بكتفيها وقال :

- اصغى إلى جيداً يا جوزين .. إذا لم تذكر لى كل ما يتعلق بهذه المسألة قبل مضى نصف ساعة فإنى أقسم لك باننى سأعاملك كما يعامل المرء عدواً لدوداً له .. فأبعدك عن هذا البيت وأسلم ليونار للبوليس وأخبرهم بالجريمة التى أرتكبها فى شخص بريجيت روسلان وللبوليس أن يتصرف عندئذ كما يشاء .



وهكذا أعلن راوول الحـرب على جـوزفين بلسـامـو . ودهشـت هذه الأخيرة ، فما كانت تتوقع منه أن ينقلب عليها هذا الانقلاب الفجائى الفظيع . وعاد راوول فقال :

- تكلمى . إننى لا أريد سـفك دمـاء . لابأس بالسـرقـة ، ولابأس بالسطو . أما القتل فلا . وألف لا ..

ظهرت دلائل القلق على جوزفين بلسامو وأخيراً تمتمت قائلة :

- لا أستطيع . لا أريد أن .

فضحك وقال :

- أتخـافين على .. هـا .. هـا اطمـئنى يا جـوزين ، فـأنا لا أخـشى بومـانيـان وإنما أخشى عـدواً آخـر أشد منه خطراً . وهذا العـدو هو أنت . تكلمى.

ولما رأت جوزفين أنه مصر على أن تتكلم قالت :

- حسناً . ماذا تريد أن تعرف ؟

- كل شـئ .. أريد أن أعـرف سـبب قـدومك إلى هنا .. وأن أعـرف لماذا قتل هذا الشقى بريجيت روسلان .

أجابته قائلة : لقد فعل ذلك ليأخذ منها الجواهر السبع .

- وهل هذا سبب يدعوه إلى قتلها ؟

- إنه لم يكن يقصد قتلها .. ولكنه أراد الحصول على الجواهر السبع قبل غيره لأن بومانيان يسعى لكى يأخذها هو الآخر .

- بومانيان ! وهل تستطيعين التغلب عليه وحدك ؟ أترين ياجوزين ؟ يجب أن تقبلى مساعدتى وأن نتضامن سوياً ونتعاون على بومانيان . نعم ، يجب أن نتعاون معاً إذا كنت تريدين الفوز والانتصار عليه ، فأنا وحدى يمكننى أن أقاومه ، وبواسطتى تنجحين فى مسعاك .

همست جوزين تقول أمام هذه الإرادة القوية :

- حسناً ، سأذكر لك كل شئ .

ومع ذلك ترددت ، بيد أنها جلست أخيراً وبدأت تقول :

- سأذكر لك كل شئ كما تريد .. منذ اثنتين وعشرين سنة ، أى قبل نشوب الحرب بين فرنسا وبروسيا ببضعة شهور ، فاجأت عاصفة هوجاء الكردينال دى بونشون، مطران مدينة روان وعضو مجلس الشيوخ ببلدة كو ، وهو فى طريقه فاضطرته إلى الاحتماء بقصر جوز ، وكان يقيم فيه وقتئذ شيخ طاعن فى السن يشرف على الموت يدعى الشيفالية ذيزوب . وقد تناول الكردينال العشاء هو والشيفالية وبينما كان الخدم يعدون غرفة الكاردينال قص عليه الشيفاليه هذه الحكاية التى سأقولها لك . وها هى ، فاصغ إلى :

"قضيت يا سيدى الكردينال سنواتى الأولى بين الثورة فى عهد الإرهاب ، وكنت اذ ذاك يتيماً فى السنة الثانية عشرة من عمرى ، فكنت أرافق عمتى إلى السجن حيث توزع الخبز وتواسى المرضى . وكان فى السجن أناس من جميع الطبقات ، كانوا يحاكمون ويعدمون فى اليوم التالى لمحاكمتهم . وأثناء ترددى على السجن تصاحبت مع رجل فاضل لم أعرف اسمه ، ولم أعرف لماذا سجن . وأخذت أتردد عليه كل يوم إلى أن أمن لى ووثق بى حتى مساء اليوم الذى حوكم

فيه فقال لى :

ـ إننى سأشنق غداً يا بنى، وسأموت دون أن يعرف أحداً من أنا ، وهذا عين ما أردت . واننى أرجو أن تستمع إلى كما يستمع رجل لآخر غيره . أننى سأكلفك بمهمة كبرى ستدرك ماهيتها وستعرف كيف تحافظ عليها ، وأنا واثق إنك لن تذكرها لأحد .

واستطرد الشيفالية ديزوب فى قصته فقال :

ـ وأخبرنى بعد ذلك أنه كاهن ، وقد أودعت لديه ثروة كبيرة طائلة من الأحجار الكريمة والمجوهرات النفيسة ، أخفاها فى مخبأ غريب ببلدة كو ، فى مكان معرض لأنظار الجميع فى جوف صخرة ضخمة كانت ولاتزال تستعمل كعلامة لحدود بعض الأملاك والحقول والأراضى والمراعى ، وأن تلك الصخرة غائرة فى الأرض تحوطها الأعشاب والأشواك ، فى آخرها تجويفان عاديتان تغطيهما الحشائش ، فكان كلما أودعت إليه جوهرة ذهب بها إلى هذه الصخرة وأزال ما حولها من تراب وأودعها بدوره ذلك المخبأ الأمين . ولما أن امتلأت تلك الصخرة ولم يقع اختيار الرهبان على مكان آخر ، نقل الكاهن الجواهر فى صندوق خشبى دفنه بنفسه فى أسفل الصخرة قبل إلقاء القبض عليه ببضعة أيام .

"وقد ذكر لى مكان تلك الصخرة ، وذكر لى كذلك عبارة تدل على مكانها .

"وقد وعدته ، نزولاً على إرادته بأن أذهب بعد عشرين سنة . أى بعد أن يسود الهدوء ويستتب النظام إلى تلك الصخرة وأتحقق من وجود الجواهر المخبأة فيها ، ثم أحضر مع ذلك القداس السنوى الذى يقام احتفالاً بعيد الميلاد فى كنيسة جور .

"وقال لى إننى سأرى فى إحدى هذه الحفلات ثياباً سوداء بجانب

المذبح وانني إذا ذكرت اسمى لهذا الرجل فسيذهب إلى شمعدان ذى سبعة فروع بيضاء فى أيام الحفلات ، فإذا فعل ذلك أطلعه على العبارة التى تدل على الصخرة ثم أمضى به إلى مكانها .

"وقد أقسمت له بإننى سأقوم بهذه المهمة ، وسأحتفظ بسرها فى قرارة نفسى فلا أذكره لأحد . وأعدم الكاهن فى صباح اليوم التالى ، وعلى الرغم من اننى كنت لا أزل غلاماً فى ذلك الوقت فقد حافظت على قسمى ، ولم أبح لأحد بهذا السر . ولما أن بلغت الخامسة والثلاثين من عمرى ذهبت إلى الصخرة وتحققت من وجودها ، ثم ذهبت فى يوم القداس إلى كنيسة جور ، فرأيت الشمعدان ذى السبعة فروع ، ولكننى لم أر أحداً يرتدى ثياباً سوداء بجوار المذبح .

وذهبت فى العام التالى إلى الكنيسة وفى العام الذى يليه ، غير أنى لم أر أحداً . وهكذا ، منذ خمسة وأربعين سنة وأنا انتظر ، ولكن لم يحضر الرجل ، ولم تتحرك الصخرة من مكانها ، ولا أدرى ماذا أفعل ولا إلى من أتجه . هل أطلع الحكومة على هذا السر أم أطلب مقابلة الملك وأذكر له كل شئ . وأخيراً لزمت الصمت وإن كان ضميرى لم يطاوعنى ، واستولت على الوساوس ، وأخشى أن أموت ويدفن هذا السر معى .

"بيد أن وساوسى تبددت الليلة عندما رأيتك ، فأنت بصفتك مطراناً تمثل الكنيسة ، وبصفتك عضواً فى مجلس الشيوخ تمثل فرنسا ، ولا أخشى شيئاً باعترافى لك بهذا السر ، فابحث يا سيدى ، وتحر ، فإذا ما قلت لى لمن ينبغى أن أفضى بسر العبارة ذكرته له دون تردد .

أصغى الكردينال دى بونشوز إلى تلك القصة فى اهتمام كبير ، ولكن لم تلبث أمارات عدم التصديق أن لاحت على وجهه . فلما رأى

الشيفالية ديزوب ذلك خرج وعاد بعد ذلك هنيهة ومعه صندوق خشبى ، وقال له :

ـ هذا هو الصندوق الخشبى الذى كان مدفوناً تحت الصخرة . لقد وجدته فى نفس المكان الذى ذكره لى الكاهن ، فرأيت من الحكمة أن أحتفظ به عندى . أعرض الجواهر التى فيه على الخبراء وسلهم أن يقدروا لك قيمتها ، فاذا ما فعلوا فسوف تقتنع بصدق قصتى .

"فلما رأى الكردينال الصندوق والجواهر التى فيه وسمع إلحاح الشيفالية وعده بالاهتمام بهذه المسألة . غير أن الأحداث التى وقعت بعد ذلك حالت بينه وبين الوفاء بذلك الوعد ، فقد نشبت الحرب بين فرنسا وبروسيا ، وأعقبها كثير من الكوارث فانهارت الملكية ودخل الألمان البلاد الفرنسية.

ولما تقدم الألمان فى زحفهم إلى مدينة روان أراد الكردينال دى بو نشوز أن يرسل إلى إنجلترا بعض الأوراق والمستندات الهامة ، ورأى أن ينتهز الفرصة ويرسل معها الصندوق الخشبى الذى يحتوى على الجواهر . ففى مساء اليوم الرابع من شهر ديسمبر، أى قبل دخول الألمان البلدة بيوم واحد . غادر خادمه وموضع ثقته جوبر البلدة فى عربة قاصداً الهافر ليستقل الباخرة المنطلقة إلى إنجلترا .

ولكن وجدت جثة جوبر بعد يومين فى غابة روفرى ، وهى تبعد عن روان بعشرة أميال . ووجدت معه الأوراق والمستندات . أما الصندوق الخشبى فقد اختفى . وقد أسفر التحقيق عن أن الخادم المسكين هاجمته فرقة من الألمان فقتلته وسلبته ما معه .

وتوالت الأحداث بعد ذلك ، فاستقبل الكردينال فى أوائل ديسمبر رسولاً أخبره بموت الشيفالية ديزوب ، وقال له أن الشفالية . طلب منه قبل موته أن يأتى إليه ويقول له هذه العبارة : أن كلمة السر التى تدل

على مكان الصـخـرة مـحـفـورة فى قـاع الصندوق الخـشـبى . أمـا الشمعدان فقد أخفيته فى حديقتى"

"وهكذا لم يبق شئ يدل على صحة هذه القصة . هل هى حقيقية ؟

أم هى مـجـرد وهم من الشـيـفـاليـة ديزوب . ودب الشك فى قلب الكردينال شيئاً فشيئاً .

"وأخيراً عـقـد عزمـه على أن يلزم الصـمت . ولكنه كـان قد سـبق وكتب فى مذكراته قصة الشيفالية ديزوب ونسى أن يحرقها ، ووجدت بين كتبه التى عرضت للبيع بعد موته .

ـ فسألها راوول قائلاً :

ـ ومن الذى وجدها ؟

ـ بومـانيـان . وكـان ينوى أن يدخل فى سلك الرهبنة . ولكن عثوره على تلك المذكرات أثار أطمـاعـه فـترك الرهبنة ، وجـمـع حـوله بعض أصدقائه، وأخذوا يتـحـرون ويبـحـثـون إلى أن عرفـوا أن الكاهن الذى شنق اسـمـه الأخ نيـقـولا، وانه كـان أمـينـاً على كنوز دير فـيكامب ، وعثروا على مراسلات متبادلة بين بعض كنائس فرنسا علموا منها أن رهبان مدينة كو كانوا يجبون ضريبة من الكنائس الفرنسية الأخرى ، وأنهم جـمـعـوا ثروات طائلة قـام مـجلس مكون من سـبـعـة أعـضـاء باستـثـمـارها ولم يكن هناك من يعرف مكان هذه الثروات غير واحد من الأعضاء السبعة .

سـاد صمت عميق ، وحدق راوول فى الكونتس كاليو سترو مفكراً ، ثم قطع حبل الصمت بأن قال :

ـ وما دورك أنت فى هذه المغامرة يا جوزفين بلسامو ؟ هل تبحثين أنت الأخرى عن هذه الكنوز ؟

ـ نعم .

ـ وكذلك بومنيان . وهو يتقدم فى أبحاثه بسرعة . لقد كان أمس فى مسرح الفارتييه ، ورأى الشريط ذا الجواهر السبع الذى كانت بريجيت تضعه حول رأسها، وأراد أن يعرف الصلة التى بين هذه الجواهر السبع وبين مكان الصخرة . ولكننا سنسبقه ، ونعرف هذه الصلة .

ـ وكيف نعرفها ؟

ـ سأسأل بريجيت روسلان

ـ بريجيت روسلان ؟ ألم تمت ؟

ـ كلا . لاتغضبى يا كونتس كاليو سترو ، فإننى لو لم أخدعك هذه الخدعة لما ذكرت لى شيئاً ، ولتركتنى أتخبط فى الظلام والغموض ، ولسبقنا بومنيان إلى مكان الكنوز .

وتركها وهى ترتعش من فرط الغضب ثم فتح باب المخدع ، ودخل . وسمعته جوزفين يسأل بريجيت روسلان قائلاً :

ـ أرجو أن لا أثقل عليك يا سيدتى ، ولكن هل تسمحين لى بأن ألقى عليك سؤالاً ؟

ـ تفضل .

ـ من أين أتيت بالجواهر السبع .

ـ إنها أحجار وجدتها فى صندوق خشبى قديم عثرت عليه تحت كومة من التبن فى مخزن البيت الذى تقيم فيه أمى فى قرية ليلبون ، بين روان والهافر .

ـ وهل وجدت الأحجار كما هى الآن ؟

ـ كلا . وجدتها معلقة فى سبعة خواتم فضية . وقد أتى إلى رجل

بالأمس وهنأني واشترى منى الخواتم ووعدت أن أبيعه الأحجار اليوم .

ـ وأين هذا الرجل ؟ وما اسمه ؟

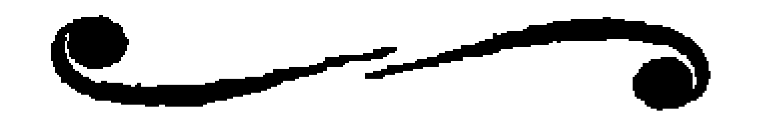
ـ اسمه بومنيان ، ويقطن بشارع فوجيرار .

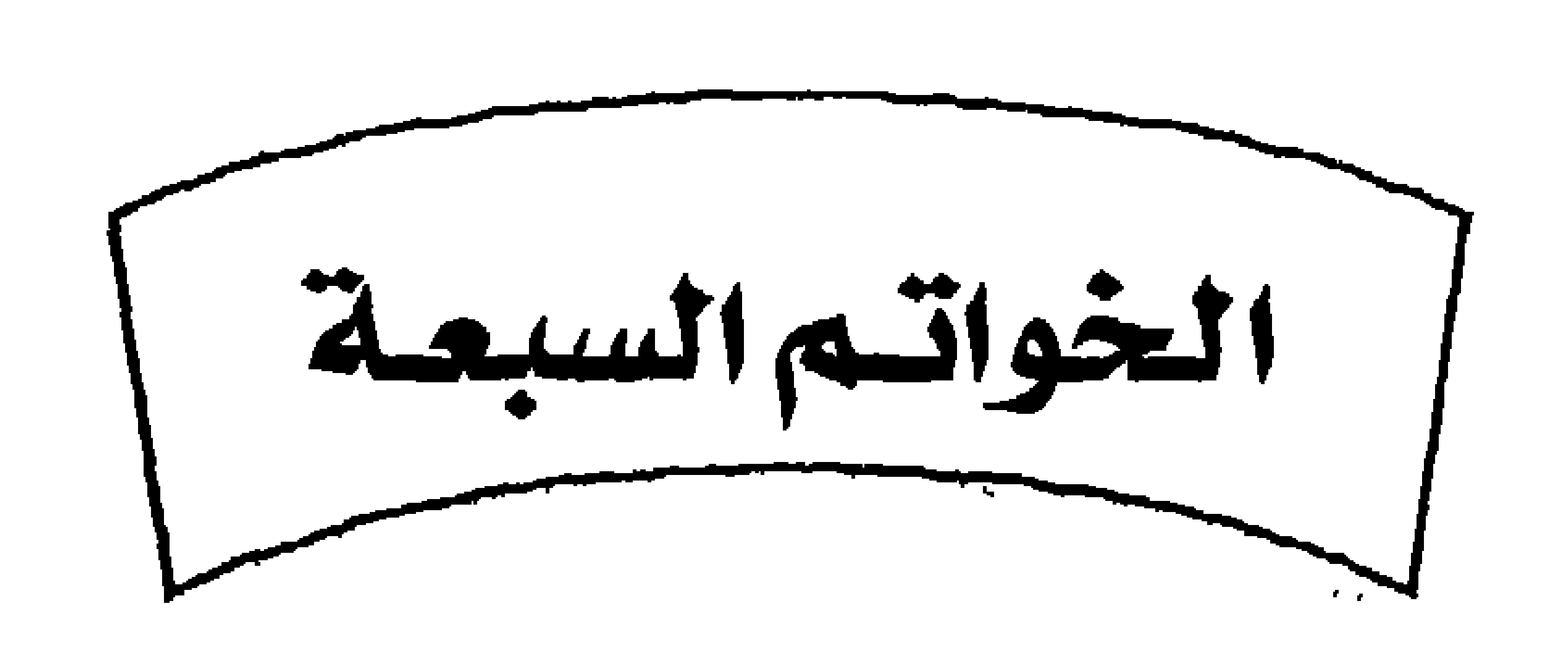
ـ شكراً لك يا آنسة روسلان .. إن لهذه الخواتم قيمة تاريخية كبيرة ، وهناك أشخاص كثيرون يسعون للحصول عليها . وهم لايحجمون عن أقتراف أشد الجرائم هولاً فى سبيل أغراضهم . ولذلك فاننى أنصحك بالانتقال من هذا البيت والإقامة فى مكان آخر لايعرفه غيرك وغير خادمتك أسبوعاً أو أسبوعين .

وخرج راوول ، ولكن جوزفين اعترضت طريقه ، وكانت قد فكت ليونار فما كاد يرى لوبين حتى انقض عليه غير أن جوزفين صاحت تأمره بالابتعاد عنه فانصاع لأمرها على الفور . وانثنت إلى راوول وسألته أين سيذهب فأجابها قائلاً :

ـ إننى ذاهب إلى بومانيان .

وحاولت الحيلولة بينه وبين الذهاب ولكن راوول كان قد صمم على الذهاب فلم يعبأ بقولها وخرج .





وفى بيت بومانيان فتح له الخادم وقال له أن سيده لايستقبل أحداً دون موعد مسبق فقال له :

- اذهب وقل له انى آت من قبل الآنسة بريجيت روسلان .

غاب الخادم هنيهة ثم عاد وقال : تفضل .

وقاده إلى غرفة فيها ثلاثة رجال هم البارون ديتيج واوسكار دى بنيتو وبومنيان ، فما كاد البارون يراه حتى صاح محنقاً :

- إنه هو . هو الذى سرق فرع الشمعدان .. آه .. ما أجرأ هذا الشاب !

ثم حمل عليه ولكن بومانيان تدخل قائلاً :

- اسكت يا جود فرى . ماذا تريد يا سيدى ؟

- إننى أتيت أستأنف الحديث الذى بدأته أنت مع الآنسة بريجيت روسلان بمسرح الفارتيية .

قال بومانيان : لا يمكن استئناف هذا الحديث إلا معها هى .

- إنها اصيبت وكانت ضحية محاولة لقتلها للاستيلاء على الأحجار السبعة التى أخذت خواتمها أمس .

اضطرب البارون جود فرى وابن عمه أوسكار دى بنيتو . ولكن بوماتيان تمالك نفسه وجعل ينظر إلى الشاب بهدوء ، وأخيراً قال له

فى استخفاف : هذه هى المرة الثانية التى تتدخل فيها بيننا بصورة ستضطرنا ازاءها إلى أن نعطيك الدرس الذى تستحق . فى المرة الأولى حبست أصدقائى وسلبتنا شيئاً يخصنا ، وفى هذه المرة أتيت تهيننا ، وأنت تعلم أن هذه الخواتم قد اتبعناها بموافقة صاحبتها ، فما هو غرضك من هذا ؟

أجابه راوول : أنت تعلم جيداً أننى لم أسرق شيئاً ، وإنما أسعى إلى نفس الغاية التى إليها تسعون .

قال بومانيان متهكماً : هكذا . هل تتكرم وتذكر لنا هذه الغاية ؟

ـ هى العثور على كنوز مخبوءة فى جوف صخرة.

اختفت من وجه بومانيان امارات التهكم على الفور وتمتم :

ـ أرى أنك على علم بهذه المسألة ، فمن الذى أخبرك ؟

ـ أخبرتنى بها جوزفين بلسامو ، كونتس كاليو سترو .

كانت المفاجأة شديدة فازداد ارتباك بومانيان واستولى عليه الذعر وقال : الكونتس كاليو سترو . هل عرفتها ؟ متى كان ذلك ؟

ـ عرفتها فى أوائل فصل الشتاء الماضى ، مثلك .

ـ أنت تكذب يا سيدى . فإنى لم أرك معها ولا مرة واحدة .

ـ ذلك اننى كنت التقى بها سرا . فقد كانت عشيقتى .

اضطرب بومانيان ، وانتفض بدنه واستولت عليه الغيرة . ولكنه تمالك نفسه بجهد كبير وقال : لاشأن لنا بعواطف الكونتس كاليو سترو نحوك يا سيدى .. ماذا تريد ؟

ـ أريد أن أعرف هذا .. كان فى مدينة كو سبعة أديرة كونت لها مجلساً من سبعة أعضاء أخذوا يجمعون ضريبة سنوية من سائر الكنائس والاديرة الفرنسية ، وهذه الضرائب المجموعة كانت تودع فى

مكان لايعرفه غير عضو واحد فقط . ولكل من هؤلاء الأعضاء السبعة خاتم ذو حجر كبير يختلف لونه عن الألوان الأخرى . وكل خاتم من هذه الأختام عليه اسم الكنيسة التى ينتمى صاحبه إليها . وقد اتخذ هذا المجلس رمزاً له شمعداناً ذا سبعة فروع فى نهاية كل فرع منها حجر كبير مشابه للحجر الذى فى الخاتم الذى تنتمى كنيسته إليه .

وقد وجدت حجراً كبيراً أحمر فى نهاية الفرع الذى عثرت عليه فى حديقة كنيسة جور . ونحن نعرف الآن أن الأخ ، ينقولا آخر من استؤمن على هذه الكنوز ، كان كاهناً فى دير فيكامب ، فيكفى أن نعرف أسماء الأديرة السبعة لكى تكون دائرة البحث عن هذه الكنوز محدودة . وهذه الأسماء محفورة على الخواتم . وهذه الخواتم هى التى أريد أن أراها .

انفجر بومانيان ضاحكاً وقال : إذن فأنت تريد أن تعرف فى لحظة ما بحثنا نحن عنه فى شهور وسنوات .

أننى أرفض .

- سأرشد البوليس إليك أنت وأصدقاءك اذن .

- البوليس ؟

- أجل . سأرشدهم إليكم كقتلة جوزفين بلسامو ، كونت كاليو سترو .

كانت تلك مفاجأة مذهلة ، وكان بومانيان يتوقع من راوول كل شئ إلا هذا الأمر، فلما سمعه اضطرب كما تضطرب الريشة فى مهب الرياح .

وتمتم يقول : ألديك أدلة على ذلك ؟

- نعم . فقد شاهدتكم بنفسى وأنتم تحاكمونها . لقد كنت فى

نافذة البرج .

ـ إنني في عجب من أمرك أيها الشاب .. ما الذي دفعك إلى أن ترمي بنفسك في فم الأسد كما يقولون .. ألاتعرف أنك الآن بين أيدينا ، وتحت رحمتنا ؟

ـ لست بين أيديكم ولا تحت رحمتكم ، فانني إذا لم أعد بعد ساعة سيلقي البوليس القبض عليكم أنتم الثلاثة . إذا لم أر الخواتم السبعة وأعود قبل نصف ساعة فسيذهب صديق لي إلى مدير البوليس بالرسالة التي أرسلتها إلى البارون ديتيج لاختطاف جوزفين بلسامو وقتلها .

ـ الرسالة . إنني استعدتها من البارون وأحرقتها .

ـ بل أخذت صورة لها وضعتها أنا مكانها وهي التي أحرقتها أنت .

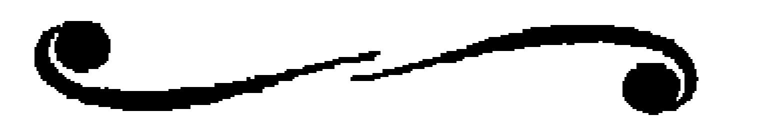
فتح بومانيان درجاً وأخرج الخواتم السبعة وناوله إياها في غضب مكبوت ، ففحصها راوول وكتب الأسماء التي عليها في ورقة ، وهي :

فيكامب ، القديس سان واندريل ، جوميج ، فالمون كروستيه ليفالاس ، سان جورج دي بوشرفيل ومو نفيلييه .

ثم أعادها البارون وسار إلى الباب ، ولما بلغه التفت وقال :

ـ وعلى فكرة .. لاتصدق ما زعمت لك بخصوص الرسالة فهي التي أحرقتها أنت ولم أنقل منها أية صورة . ولا تصدق كذلك أن هناك صديقاً ينتظر عودتي ، فهذا كله كلام لا أساس له .

وأغلق الباب واختفى قبل أن يفكر بومانيان في اللحاق به .





اليـد المشوهـة

قرأ راوول فى مسـاء ذلك اليـوم فى إحـدى الجـرائد المحليـة النبـأ التالى :

"سـمع أحـد الحطابين صيـاح امـرأة صادراً من مـحـجـر فى غـابة موليفرييـة بكوديبيك، فـاتصل برجلين من رجال الشـرطة . ولما اقترب الشـرطيـان من المحـجـر رأيا رجـلان يحـمـلان امـرأة إلى عـربة تقف بجوارها امرأة أخرى ، فـأسرع الشـرطيان ولكن سرعان ما انطلقت العربة واختفت عن ناظريهما فى جوف الظلام" .

أدرك راوول على الفور أن هذه الفعلة من أفعال جـوزفين بلسامو ، واستنتج أن المرأة المخطوفـة هـى الأرملة روسلان أم الراقصـة بريجيت ، فـأخذ يراقب زورق جـوزفين وجعل يبحث ويتـحـرى ، فذهب إلى بيت الأرملة وبحث عنها فيه فلم يجد لها أثراً .

وفى أثناء تحـرياته علـم أن الحطـاب كـوربو وولديه ينتــمـون إلى عصابة جوزفين وأنهم يقيمون فى كهف يطل على نهر السين فاستنتج فى الحال أن الأرملة سنجينة فى هذا الكهف .

وأراد أن يتأكد إذا كان استنتاجه هذا حقيقياً أم خاطئاً فذهب إلى الكهف وعثر علـى مكان منخفض بجانب الكهف فـأقام فيه يومين وهو يفترش الأرض ويلتحف بالسماء . وفى اليوم الثـالث سمع حديثاً بين الأب كوربو وولديه تأكد منه أن الأرملة سجينة فى الكهف فعلاً ، فراح

يفكر فى تخليصها .

غير أنه قبل أن يهديه التفكير رأى زورق جوزفين بلسامو يقترب من الشـاطئ ويقف أمـام الكهف . ونزلت منه جـوزفين هى وليـونار . ووقفت جوزفين أمام المدخل فى حين دخل ليونار .

وكـان الأب كوربو وولداه يهذبون حديقـتـهم فـتمـتم راوول يحـدث نفسه : لقد دخل ليونار ليستجوب الأرملة روسلان .

ومرت فـترة طويلة وراوول يسـائل نفسـه عمـا ينبـغى أن يفعل حين طرق سمعه انيناً وصيحات مكتومـة . وقد خيل إليه أن هذه الأصوات على مقربة منه ، فزحف إلى المكان الذى خيل إليه أنه سمع الصوت صادراً منه ، وعندئذ أدرك مـا خفى عليه ، فقد رأى أمـامـه صخوراً وأحـجـاراً مكومـة عرف منـهـا أنهـا بقـايا مـدخنة وأدرك أنـهـا تتـصل بالكهف . وانقطع الأنين عندئذ ولكنه سمع صوت امرأة تقول :

ـ رحماك .. رحماك يا سيدى .. نعم .. نعم .. سأخبرك بكل شئ . كان ذلك منذ اثنتين وعشرين سنة .. عندمـا أخذ الألمان يزحفون على روان .. وكـان زوجى حينذاك حوذياً ، فـأتى إليه رجلان لم يرهمـا من قبل وطلبا إليه أن يحملهمـا بمتاعهما إلى الشـاطئ ، فأقلهما زوجى ، ولكن كانت الليلة ممطرة عاصفة فتعثر جوادنا وسقط ونفق . وخـاف الرجـلان وخـشـيـا ظهـور الألمان ومـر فى ذلك الوقت بعربتـه رجل من روان كـان زوجى يعـرفـه وهـو مـسـيـو جـوبـيـر خـادم الكرجـينال دى بونشـوز . واستوقفه الرجـلان وعرضـا عليه مبلغاً كبيراً لكى يبيعهم جـواده ولكن جـوبـيـر رفض رغم توسـلاتـهـمـا وتـهـديدهمـا له ، وأخـيـراً انقضـا عليه فى جنون وقتـلاه ثم فتشـا العربة ووجدا فـيـهـا صندوقـاً مملوءاً بالمجوهرات اقتسمـاهـا وأعطيا زوجى سبعة خواتم والصندوق الفـارغ . وقـد أثرت هذه المسـألة فى زوجى المسكين ومـات بعـد قليل .

ولزمت الصمات بعد ذلك ونسيت الخواتم السبعة إلى أن التحقت بريجيت بالمسرح فنزعت أحجارها واستخدمتها فى رقصاتها وهنا سمع راوول ليونار يسألها قائلاً : والصندوق ؟

ـ لقد أخذه منى رجل ، فى اليوم الذى اختطفتمونى فيه .

ـ ومن هو هذا الرجل ؟

ـ لا أعرف . إنه رجل طيب القلب أحسن إلى كثيراً . وأنا أراه من وقت لاخر .

ـ وأين ترينه ؟

ـ لا أستطيع أن أتكلم . فأنا لا أريد إيذاءه .

فصاح ليونار : ماذا ؟ أتريدين أن أعود إلى تعذيبك؟

ومرت لحظة سمع راوول بعدها الأرملة تصرخ صرخة هائلة وتقول

آه .. يدى .. أيها الشقى !

ـ هل ستتكلمين ؟

ـ نعم . نعم . أعدك بذلك .

خفت صوت الأرملة المسكينة ، واستولى عليها ضعف شديد ، وكاد يغمى عليها ، ومع ذلك فقد أصر ليونار وألحف عليها فى السؤال فتمتمت تقول :

ـ نعم ، نعم . اننا سنتلقى يوم الخميس . عند الفنار المجهول . ولكن لا .. لا .. لايجب أن أتكلم . إننى أفضل أن أموت ، فافعل ما تريد .

وسمع راوول ليونار يدمدم بكلام فهم منه أن الأرملة أغمى عليها ، ثم سمع صوتاً أدرك منه أن ليونار خرج إلى جوزفين .

أدرك عندئذ أن وقت العمل قد حان ، فـأبعد الأحـجـار المتكومـة فى حذر شديد ثم نزل فى هدوء وحرص كبيرين . وكان الكهف مظلماً ، وكانت الأرملة روسلان قد أفاقت من غيبوبتها ففتحت عينيها ، ورأى راوول بريقها فانحنى فوقها وهمس يقول :

ـ لاتخافى . لاتخشى شيئاً . إننى أنقذت ابنتك بريجيت من الموت وقد أتيت لأنقذك أنت أيضاً .

وحملها على كتفه ، ثم فتح باب الكهف بهدوء فرأى فى الخارج جوزفين وليونار يتحدثان بصوت خافت . وكانا موليانه ظهريهما ، وكانت بعض العربات تقف على مسافة غير بعيدة ، ففتح الباب دفعة واحدة وأخذ يجرى نحو تلك العربات . ورآه كوربو وولداه فصرخوا واندفعوا إليه ، وصرخ ليونار غضباً وانضم إليهم . ولكنهم سرعان ما منوا بالهزيمة فقد اقتربت عربة آتية من الشاطئ وجاءت عربة اخرى من الجهة المقابلة بحيث لم يعد فى وسعهم مهاجمته أمام كل من راكبى العربتين ، فوقفوا فى مكانهم يحرقون الارم غيظاً . واقتربت العربة القادمة من الشاطئ . وكان فيها راهبتنان فاستوقفها راوول ، ووضع الأرملة روسلان فى عربتهما ، وسألهما أن يعنيا بها مدعيا أنه وجدها على الشاطئ مغمى عليها لأن عربة مرت على أصابعها فهشمتها .

نظرت الراهبتان إلى المرأة المسكينة فى عطف ثم أجلساها بجانبهما ، وابتعدت العربة بهم . وكان الطريق قد خلا من المارة فأخرج ليونار خنجره ولكن جوزفين قالت له :

ـ أعد هذا ، ودعنا وحدنا . وأنتم أيضاً يا آل كوربو . لاداعى لأية حماقة .

ولكن ليونار اعترض قائلاً : إن من الحماقة أن نتركه وقد أصبح

بين أيدينا .

صاحت به بلهجة قاطعة : اذهب .

ـ ولكن تلك المرأة . تلك المرأة ستبلغ عنا . .

ـ كلا . فليس من مصلحة الأرملة روسلان أن تتكلم .

وإذ ابتعد ليونار اقتربت من راوول وقالت له :

ـ الحياة نضال يا راوول ، فيوم لك ويوم عليك ، وكما يدين المُرء يدان ولكن ماذا بك ؟ لماذا تنظر إلى بهذه القسوة ؟

أجابها بكل وضوح : الوداع يا جوزين :

امتقع وجهها وسألته : لعلك تريد أن نقول إلى الملتقى .

ـ كلا . بل أقول وداعاً .. انني لا أريد أن أراك ، فأنت مجرمة لا تحجمين عن القتل ولن أنسى ما حييت منظر يد هذه المرأة المسكينة .

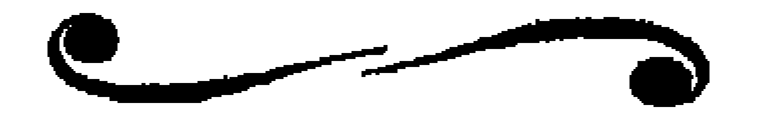
مدت إليه يديها فى توسل وقالت :

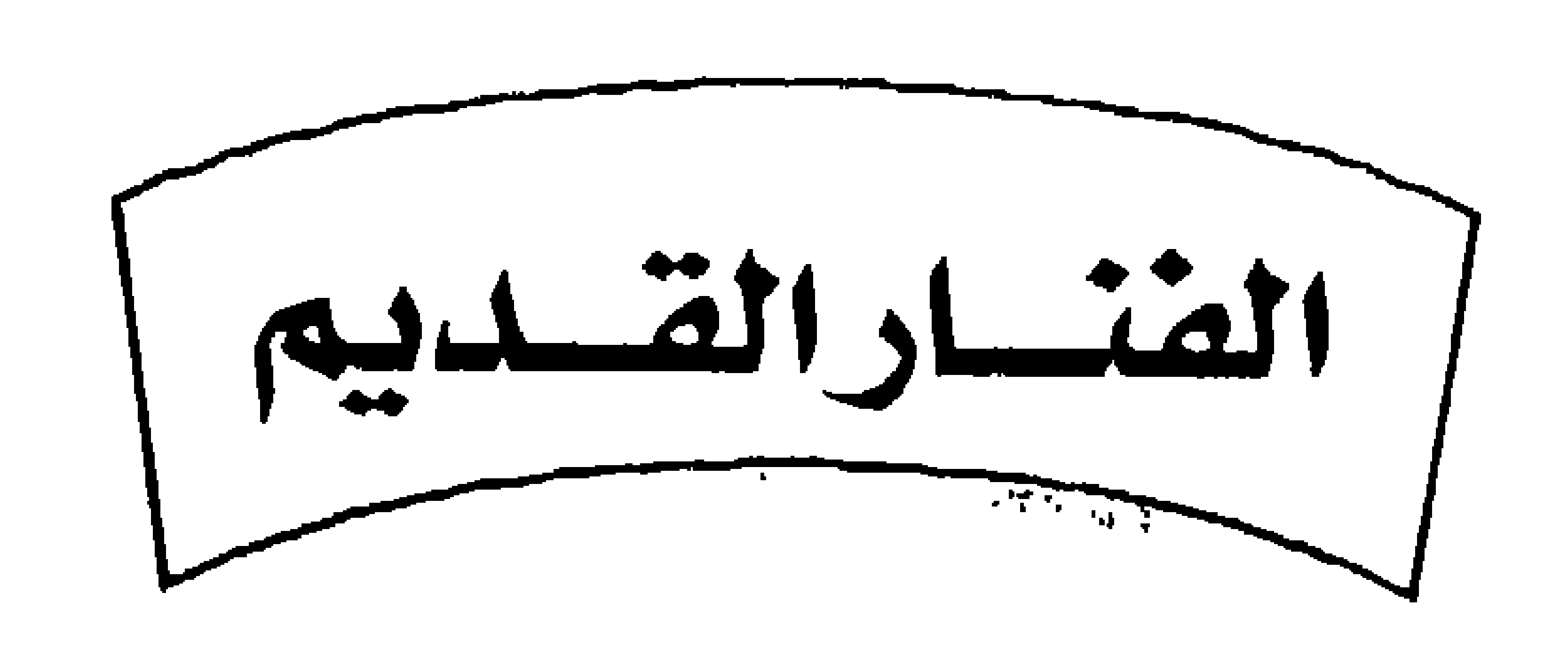
ـ يدها ؟ ماذا رأيت ؟ هل أصابها ليونار بضرر . ولكننى أمرته بألايفعل .. اننى حسبت أنها اعترفت له بمحض إرادتها .

ـ أنت تكذبين ياجوزين ، فأنت قد سمعت صياح تلك المرأة المسكينة وأنينها كما سمعتها أنا . أنت قاتلة . تسفكين الدماء وأنا لا أحب أن اسفك دماً . لا أريد أن أراك .

ـ كلا . كلا .

ولكن راوول حول وجهه وابتعد غير عابئ بتوسلاتها .





الفنار القديم

راح راوول يضرب فى الأرض طول الليل على غير هدى إلى أن أخذه التعب والاعياء فعرج على حانة صغيرة فى الصباح وأمر صاحبها أن لا يوقظه ونام أربعاً وعشرين ساعة .

وعندما استيقظ تذكر جوزفين فآلمته ذكرى الفراق ، وبرح به الوجد والشوق ، وخيل إليه أنه قد انقضى على يوم فراقه لها آلاف السنين . وغلبه الحنين ، وفكر مراراً فى العودة إلى زورقها فيحتويها بين ذراعيه ويضمها إلى صدره ويمطرها بقبلاته الملتهبة .

وأخيراً غالب عواطفه ، وعول على نسيان جوزفين وتذكر كلاريس فملأته الحسرة وعذبه وخز الضمير فكتب إليها رسالة صغيرة يقول لها فيها :

" كلاريس .. سامحينى يا حبيبتى .. لقد كنت وغداً ، ولكن أرجو أن تغفرى لى" .

غير أنه رغم ذلك أخذ يفكر فى جوزفين ، فكانت صورتها لا تفارق مخيلته ، وكان يراها أينما ذهب وأينما كان ، وبلغ به الوجد حداً جعله يفكر فى أن يمضى إليها ويتمرغ تحت قدميها .

وفى مساء اليوم السابق ليوم الخميس ذهب إلى الفنار المهجور ، واستكشف داخله وخارجه .

وفى اليوم التالى ، عاد إلى الفنار ، ولما اقترب منه حدثه شعوره

بأن هذا الفنار سيكون مسرحاً لحوادث رهيبة مهولة سيكون لها فى حياته تأثير كبير .

وغمره إحساس بأن المعركة الحاسمة بينه وبين العدو قد دنت ، وأن هذا العدو هو الكونتس كاليو سترو بالذات ، فهى التى تعلم بالموعد الذى بين الأرملة روسلان وبين الشخص المحسن إليها . وكان متأكداً من أنه سيراها ، ولكنه كان يخشى أن يندفع إليها عندئذ فيحتويها بين ذراعيه رغماً عنه .

بلغ الباب ووقف قليلاً فقد خشى أن يكون هناك فخ منصوب . ولكنه سرعان ما أقصى عنه هذا الخاطر وقال :

ـ فخ ! ما أغبانى ! ولماذا تنصب لى فخاً ؟

ثم فتح الباب ودخل .

وشعر فجأة بأن هناك من يختبئ خلف الباب . ولكن قبل أن يتحول ويلتف إليه أحس بحبل يحوط عنقه ويدا تجره إلى الوراء ففقد توازنه ووقع على الأرض فهتف يقول :

ـ أحسنت يا ليونار . أحسنت . ياله من انتقام بديع .

غير أنه خدع فى ظنه ، فإن الرجل لم يكن ليونار .. وإنما كان بومانيان ، ورأى وجهه وهو يقيد يديه فقال :

ـ آه .. آه .. أهو أنت يا وجه القرد ؟

كان الحبل الذى يحيط بعنقه مشدوداً إلى حلقه معلقة فى الحائط فوق نافذة . وفتح بومانيان إحدى مصراعى هذه النافذة قليلاً ثم شد الحبل فارتفع راوول إلى أن صارت قدماه عند حافتها ، ثم قيد بومانيان قدميه .

كان راوول فى موقف حرج ، فقد كان معلقاً بحيث إذا حاول

الحراك إلى الأمام اشتد ضغط الأنشوطة التى حول عنقه فخنقته ، وإذا حاول التحرك إلى الخلف انفتحت النافذة وتأرجح فى الفضاء ومات شنقاً .

وبعد أن انتهى بومانيان من عمله هذا تركه وذهب إلى الباب ووقف وراءه ينتظر وقد ضم قبضتيه .

أخذ راوول يفكر .. ما سبب وجود بومانيان فى الفنار ؟ أيمكن أن يكون هو الشخص البار الذى تكلمت الأرملة روسلان عنه .

إن هذا الكمين لايمكن أن يكون قد نصبه له .. لايمكن أن يكون قد نصب إلا لجوزفين بلسامو . فلا مراء أنه أدرك أنها لاتزال على قيد الحياة .. لاجدال فى ذلك .

أدرك راوول أنه هو نفسه السبب فى أن بومانيان قد علم أن جوزفين بلسامو لم تمت ، فقد كان من الغباء بحيث ذكر له أنه شاهد محاكمتهم لها . وبلغت به الحماقة إلى درجة أنه لم يفكر فيما قد ينتج عن ذلك .

لاريب أن بومانيان قد فهم كل شئ وأدرك الحقيقة حين قال له انه شاهد محاكمتهم لها، وعرف أن جوزفين بلسامو لاتزال على قيد الحياة وأن راوول قد سارع إلى إنقاذها بعد أن ابتعد البارون ديتيج واوسكار دى بنيتو .

لبث بومانيان فى مكانه مدة طويلة . وفجأة سمع الاثنان صوت عربة قادمة من بعيد ، فتحفز بومانيان للهجوم . وأراد راوول أن يتخلص من قيوده ولكنه خشى عاقبة عمله .

وقفت العربة أخيراً أمام الفنار ، وبعد فترة وجيزة سمع راوول وقع أقدام تقترب فحاول أن يصرخ ويهيب بالداخل أن لايدخل ولكن صوته اختنق فى حلقه .

وفتح الباب ودخلت جوزفين بلسامو ، فهجم بومانيان عليها وتدحرج الاثنان على الأرض .

بيد أن بومانيان ، على الرغم من حقده عليها تذكر حبه لها ، فكان في ذكراه هذه ضياعه ، فقد نهض كالمجنون وراح يشد شعر رأسه في يأس وغضب.

أما جوزفين فقد نهضت ببطء ، ونظرت إلى بومانيان لحظة ثم تحولت إلى راوول واقتربت منه وقالت :

- لقد انتظرتك طويلاً يا راوول ، فلماذا لم تأت ؟

- لأن كل شئ بيننا قد انتهى .

- انتهى ؟ هل هذا صحيح يا حبيبي راوول .

ثارت ثائرة بومانيان حين سمع هذا التدليل ، فاعتدل في وقفته على الفور وقد ازداد جنونه ، وحاول أن يمسك ذراعها ، ولكنها إبتعدت عنه وهي تصرخ : لاتلمسني . أيها الوغد . لاتظن انني خائفة منك . إنك لاتقوى على قتلي . فأنت جبان . إن يديك ترتجفان ، أما يدي فلن ترتجفا حين تدنو نهايتك .

"انني أحب راوول . وقد أحببته لكي أنتقم منك . ولكن حبه ملكني كلي ولا أريد أن أهجره . كنت لا أعرف الحب ، ولكنني عرفته عندما رأيته . انني أحبه كل الحب . وأنني لأوثر أن اقتله من أن أعرف أنه يحب واحدة غيري . ولكنه يحبني . أتسمع. أنه يحبني .

ضحك بومانيان ضحكة هستيرية وقال :

- هل تظنين ذلك حقاً يا جوزفين ؟ هل يحبك ؟ انه يحبك .. نعم كما يحب غيرك . فأنت امرأة جميلة . فاتنة .

صرخت في وجهه وصاحت تقول :

- لو أتأكد مما تقول لأجعلن حياته جحيماً مستعراً .

- هل تريدين دليلا ؟

- نعم .

- كلاريس ديتيج .

- اننى أعرف ذلك . كان حباً هوائياً .

- أنت مخطئة .. انه يحبها ، وينوى الزواج منها ، وقد أرسل إليها يطلب غفرانها .. وإليك الرسالة التى أرسلها لها فقد أخذتها قبل أن تصل إلى يدها .

تناولت جوزفين الرسالة وقرأتها فبرقت عيناها ببريق الغضب والجنون وأستولى عليها الضعف وقالت :

- لقد حذرتك يا راوول . تذكر ما قلته لك .

- وتذكرى ما أقول لك أنت الآن . إياك وأن تلمسى شعرة واحدة منها .. تذكرى هذا .

وما كاد ينتهى من قوله هذا حتى سمع صفيراً فى الخارج فقالت :

- لقد صفر ليونار ، أليس كذلك يا بومانيان ؟ لاريب أن الشخص الذى ننتظره قادم . ألم تأت أنت أيضاً لكى تراه ؟

نقلت بصرها من بومانيان إلى راوول ، فلما رأته مقيداً ومعلقاً لم تخش شيئاً من جهته ، غير أنها لم تلبث أن نظرت إلى بومانيان فى قلق ، فأمسكته واقتربت من الباب ، وما كادت تصل إليه حتى فتح ودخل منه ليونار وعلى وجهه أمارات الانفعال الشديد .

نظر إلى الرجلين نظرة سريعة ثم انحنى ناحية بالكونتس كاليوسترو وهمس فى اذنها ببضع كلمات فاستولت عليها الدهشة وتمتمت :

ـ ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟

وحولت وجهها حتى لايلحظ أحد انفعالها . ولكن راوول ظن أنها مبتهجة . وقالت: لاتتحرك يا بومانيان .. إن بعضهم قادم . أخرج مسدسك يا ليونار ، ولكن بومانيان اندفع نحو الباب وحاول أن يفتحه فقالت له :

ـ هل جننت يا بومانيان ؟ ماذا هناك ؟ ابق مكانك .

غير انه أدار الاكره فمسكته وسألته قائلة :

ـ لماذا تريد أن تفتح الباب ؟ هل تعرف الشخص القادم ، وهل تحاول أن تمنعه من الدخول ، أم انك تريد أن تستأثر به وحدك ؟

لم يهتم بومانيان بقولها وأدار الاكره ، فلما رأت جوزفين ذلك ، التفتت إلى ليونار وأشارت إليه آمرة فأخرج مدية من جيبه أغمد نصفها فى كتف بومانيان فتأوه قائلاً : آه . أيتها الشقية .

ووقع على الأرض ، وجره ليونار إلى ركن من الغرفة . وفحصت جوزفين جرحه ثم قالت :

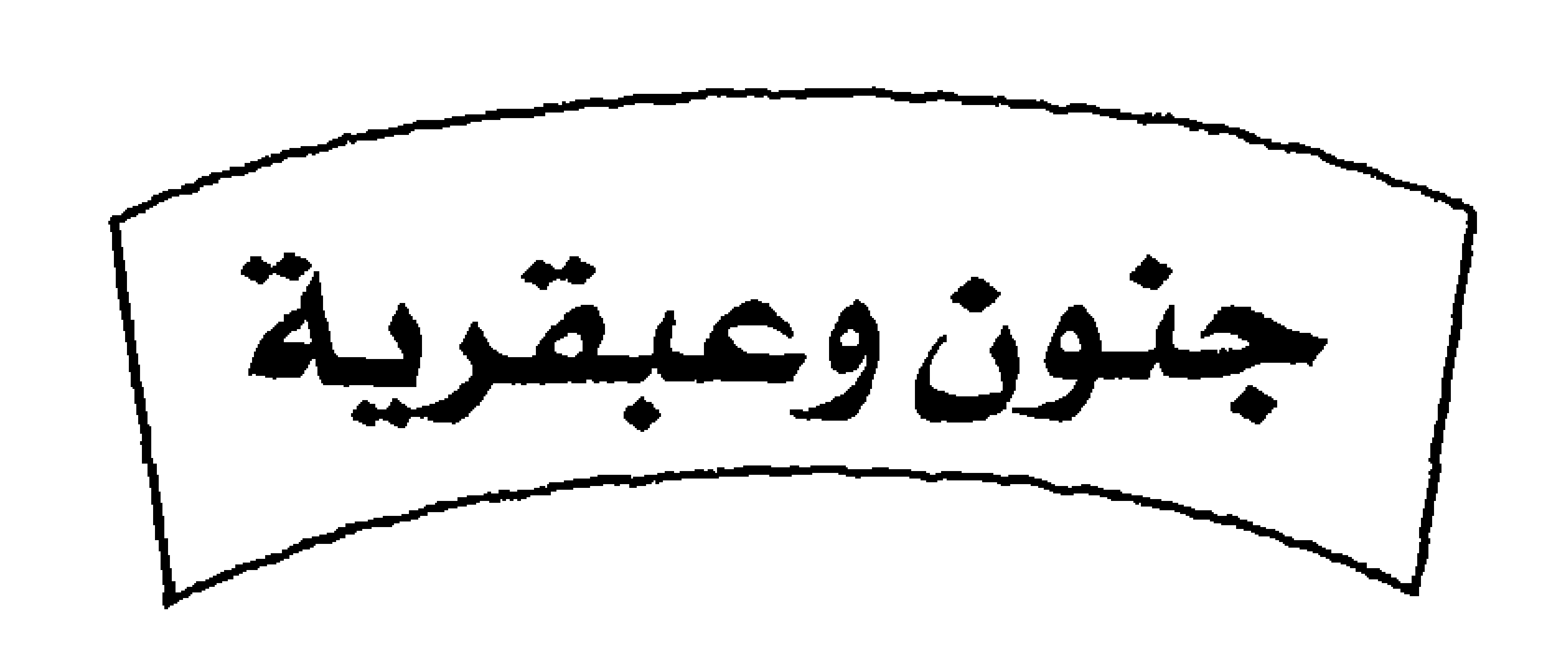
ـ إن إصابته غير خطيرة .

ثم شدت وثاقه ، وأسندت ظهره إلى الجدار ، وعادت فوقفت خلف الباب فى انتظار القادم .

وبعد دقائق سمع راوول أقداماً تقف أمام الباب فأراد أن يصرخ ولكن الصوت احتبس فى حلقه كما احتبس فى المرة الأولى .

وفجأة دارت رأسه وكاد يفقد صوابه ، فقد انفتح الباب ، وظهرت منه كلاريس ديتيج .





جنون وعبقرية

لم يخش راوول داندريزى على حياته من بومانيان ولا من الكونتس كاليو سترو كما خشى على حياة كلاريس ديتيج .

كان يعرف أن الكونتس تحبه إلى درجة الجنون ، وانها تغار من كلاريس كل الغيرة وتتحين الفرصة لابعادها عن طريقها .

أما كلاريس فقد حدقت فيها فى دهشة ممزوجة بالخوف ، ووقفت وهى كالمأخوذة أمام المسدس الذى يمسكه ليونار في يده ، ثم حولت بصرها إلى راوول وقالت :

ـ ما الخبر يا راوول ؟ ولماذا أنت مقيد هكذا ؟

وبسطت يديها إليه كأنها تطلب مساعدته أو تحاول أن تمد إليه يد المساعدة .

نظر راوول إليها وهو يشعر بألم شديد فرآها ممتقعة الوجه غائرة العينين ، تدل ملامحها على أنها قضت أياماً كثيرة لم تذق فيها طعم النوم فأدرك أنها اعترفت لأبيها بهفوتها، وآلمه ذلك ، ولكنه قال بهدوء :

ـ ليس هناك ما أخشى منه يا كلاريس . وكذلك ليس هناك ما أخشى عليك منه .

وعندئذ ، وقعت عيناها على بومانيان فازدادت دهشتها وتحولت إلى ليونار وسألته قائلة :

- ماذا تريدون منى ؟ ومن الذى أحضرنى إلى هنا .

قالت جوزفين بلسامو : أنا يا آنسة .

رأت كلاريس جمالها فانتفضت ، والتمست العذر لراوول لوقوعه فى حبالها وقالت:

- من أنت ؟ اننى لا أعرفك ؟

- أما أنا فأعرفك . أنت ابنه البارون ديتيج . وأعرف كذلك انك تحبين راوول .

أطرقت كلاريس برأسها إلى الأرض خجلاً .. وكأن الكلمة التى نطقت بها جوزفين قد أفقدتها رشدها . واستطردت جوزفين تقول :

- منذ ثلاثة شهور ، اختطفت امرأة عند نزولها من القطار واقتيدت إلى قصر ديتيج حيث اجتمع أبوك وبومانيان وآخرون . ولن اذكر ما حدث ، غير انى اكتفى فأقول انهم عقدوا العزم على قتل تلك المرأة فقيدوها وحملوها إلى قارب مثقوب مضى به أبوك وأوسكار دى بنيتو إلى عرض البحر ثم تركاها وعادا إلى القصر .

- كلا .. كلا .. هذا غير صحيح . لايمكن أن يكون أبى قد فعل ذلك .

غير أنَ جوزفين استأنفت حديثها غير عائبة باعتراضها فقالت :

- وقد شاهد رجل محاولتهم تلك فسارع إلى إنقاذها .. فمن أين أتى هذا الرجل .. كل القرائن تدل على أنه قضى اليوم فى غرفتك .. ليس بصفته خطيباً ولكن بصفته عشيقاً .

ازداد خجل الفتاة وصدر منها أنين يدل على الذلة والانكسار ، وقالت :

- أواه يا سيدتى . ماذا تقولين ؟

- اننى أعـيـد مـا عـتـرفت أنت به لأبيك . هـل أقول لك مـا حـدث فى نفس اليـوم الذى استـسلمت فـيـه لراوول داندريزى ؟ فـى نفس اليـوم الذى لطخك فيـه بالعار ؟ لقد هـجرك ونبذك ، وتبع المرأة التى أنقذها وأقسم لها انه لا يحبك وأن حبه لك كان حباً هوائياً.

"ولكن حـدث سـوء تفـاهـم بين راول وبين عـشـيـقـتـه الجـديدة ، واكتشـفت أن راوول راسلك ، وكتب لك رسالة يقول لك فيـها انه نادم ويسألك الصفح والغفران . هذه المرأة هى أنا . وهذا هو سبب عدائى الشديد لك .

سكتت كلاريس ولم تتكلم . وداهمـها خـوف شـديد ، ونظرت إلى جـوزفين وهـى لاتسـتطيع أن تتـحـرك ، فلمـا رأى راوول ذلك ، هـتف يقول :

- لاتخشى شيئاً يا كلاريس . اننى أقسمت أن لن يمس أحد شعرة واحدة من رأسك . لاتخـافى . سـتخـرجين من هنا سالمة بعد عشـر دقائق . لا أكثر.

وتابعت الكونتس كاليو سترو حديثها قائلة :

- سأذكر الآن القصة التى تهمنـا .. أن أباك وبومانيان يسعيان إلى هدف أسعى أنـا إليه ، كما يسـعـى إليـه راوول . وقد نشـأ بيننا عداء مسـتـحكم ، وحـاول كل منا ، ولايزال ، أن يسبق الآخر، وقد اتصلنا جميعاً بأرملة عجوز تدعى مدام روسلان ، كان عندها صندوق خشبى نحن بحاجة إليه لكى نبلغ الهدف .

"وقد استـجوبنا هذه السيدة بكل الطرق وبشتى الوسـائل ، فعلمنا منها أنها أعطت الصندوق لشخص لم تشـأ أن تذكر اسمه لأنه أحسن إليـها كـثيـراً .. ولكننا عـرفنا منها قـصـة قديمة سـأذكرها لك بايجاز لأنها تهمك كما تهمنا .

صاح راوول : كلا .. كلا .. لاتذكرى شيئاً يا جوزفين .. لاتقولى شيئاً .

بيد أنها تظاهرت بأنها لم تسمعه واستطردت تقول :

- منذ اثنتين وعشرين سنة ، أى أثناء الحرب بين فرنسا وبروسيا، هرب رجلان فى عربة مسيو روسلان ، وقتلا فى الطريق خادماً يدعى جوبر للاستيلاء على جواده ، ثم سلباه صندوقاً مملوءاً بالجواهر الثمينة واقتسماه ، وتخليا عن الصندوق وسبع جواهر لمسيو روسلان، الذى مات غماً وكرباً . وقد خشى القاتلان ثرثرة الأرملة فاتصلا بها وأغدقا عليها المال ، وأظن أنك أدركت الآن من هما هذان القاتلان ؟

كانت كلاريس تصغى فى فزع شديد وهى لاتقوى على الحراك فلما رأى راوول ذلك صاح يقول :

- اسكتى يا جوزين . اسكتى . ما الفائدة من كلامك هذا ؟

فقالت : ما الفائدة ؟ لأن الحقيقة يجب أن تعرف . يجب أن تتألم كما أتألم أنا .

فتمتم يقول فى غضب : ما أشد قسوتك !

غير أنها لم تعبأ بقوله وتحولت إلى كلاريس وأردفت :

- وفر أبوك وابن عمه بنيتو بعد ذلك وسائل الراحة لمدام روسلان ، واشترى لها بيتا فى ليلبون لكى تكون تحت مراقبته ، وأخذت أنت ترددين وتلعبين مع ابنتها بريجيت ، فأحبتك ومالت إليك .

"وفى إحدى هذه المرات وقع نظرك على الصندوق الخشبى الذى نبحث عنه ، أنا وراوول، فراق لك وأخذته معك إلى قصر أبيك ، وعندما عرفت أنا وراوول أن الصندوق أخذه منها شخص لم تشأ أن تذكر اسمه، وأن هذا الشخص يغدق عليها بالمال وأنه وفر لها وسائل

الراحة ، وانهما يلتقيان من وقت لآخر عرفنا فى الحال أنه يكفى أن نأتى إلى الفنار المجهول بدلاً من مدام روسلان لكى نعرف الحقيقة التى نبحث عنها .

لزمت كلاريس الصمت وأغرورقت عيناها بالدموع ، فلم يشك راوول فى أنها كانت تجهل جرم أبيها ، وتأكد أنها تألمت حين علمت أن أباها قاتل ، والحق أن جوزفين بلسامو قد أصابت بسهمها ، فانتقمت من كلاريس أروع انتقام .

كان ألمها شديداً . أبوها قاتل ؟ أحق هذا ؟ أم أن الكونتس كاليو سترو تكذب وتفترى ؟

وكان الكونتس أدركت ما يجول فى خاطرها فقالت:

ـ نعم ، إن أباك قاتل . إن أمواله وقصره وجياده أتته من الاجرام أليس كذلك يا بومانيان ؟ إنك عرفت سره فرحت تهدده ، وانتهزت جريمته الأولى فارغمته على قتل الذين يضايقونك ، أليس كذلك ؟

بحثت عيناها عن عين راوول ، وكأنها تعتذر عن الجرائم التى اقترفتها هى بأن ذكرت جرائم البارون ، ولكنه قال لها فى صوت خشن غليظ :

ـ وماذا تريدين منها الآن ؟ ماذا تريدين من هذه الفتاة المسكينة ؟

ـ أريد منها أن تتكلم .

ـ وهل تطلقين سراحها إذا تكلمت ؟

ـ نعم .

ـ إذن ، اسأليها . هل تريدين أن تعرفى العبارة المحفورة فى قاع الصندوق ؟

وكان ألم كلاريس شديداً، وكان الضعف قد اعتراها وأوشكت أن

تقع على الأرض من فرط الاعياء . وهتف راوول يشجعها :

ـ تشجعى يا كلاريس . أجيبى على الاسئلة التى ستلقيها عليك . أجيبى ولا تخشى شيئاً فإنك له تصابى بسوء .

ورأى راوول أن لهجته قد أعادت إلى الفتاة شجاعتها فقال :

ـ ماذا فعلت بذلك الصندوق ؟ هل ذهبت به إلى القصر ؟

ـ نعم .

ـ لماذا ؟

ـ رأيته فراق لى منظره .

ـ وهل رآه أبوك ؟

ـ نعم .

ـ وهل أخذه منك ؟

ـ أجل .

ـ لماذا ؟

ـ لا أدرى .

ـ هل رأيت فى قاعة كلمات محفورة ؟

ـ أجل .

ـ وما هى .

ـ لا أظن اننى أتذكرها .

قال راوول : بل يجب أن تتذكريها . نعم ، يجب .

ـ اننى لم أهتم بها ، لأنها كلمات لم أفهم لها معنى . ولكننى أتذكر أننى قرأت بينها كلمة صخرة .

ـ يجب أن تتذكرى يا كلاريس . يجب ذلك .

فكرت كلاريس ، وارتسمت على ملامحها أمارات الاجتهاد، وأخيراً تمتمت تقول

ـ نعم . اننى أتذكر . ها هى الكلمات التى قرأتها : إنسان لبيب سوف يجد هذه الصخرة " .

صاحت جوزفين تقول فى غضب :

ـ أنت تكذبين . لقد كنا نعرف هذه الكلمات . توجد كلمة واحدة أخرى . فأذكريها .

لزمت كلاريس الصمت وقد تملكها خوف عظيم ، فاستحثها راوول قائلاً :

ـ فكرى يا كلاريس . تذكرى . ألم ترى كلمة أخرى.

ـ كلا . لا أظن إننى رأيت كلمات أخرى .

ـ تذكرى . يجب أن تتذكرى ، فإن حياتك متعلقة بهذه الكلمة . وكانت لهجته رقيقة تدل على مبلغ اهتمامه بها ، فاستولى الغضب على جوزفين بلسامو واشتعلت نيران غرامها فأمسكت بيد كلاريس وقالت فى لهجة قاسية :

ـ تكلمى . تكلمى وإلا تركت ليونار يتولى أمرك .

جمع راوول كل عضلاته وحاول الخلاص وهو يقول :

ـ أيتها الشقية . ماذا ستفعلين بها ؟ ألاتعرفين معنى الشفقة والرحمة ؟

هل قد قلبك من حجر . ليونار . الويل لك إن مسست هذه الفتاة بسوء .

فقالت جوزفين فى سخرية :

- هل تحبها إلى هذه الدرجة ؟ أيحز فى قلبك أنها ستتعذب . إن الطيور على أشكالها تقع ، فهى ابنة قاتل أثيم وأنت لص .

وانثنت إلى كلاريس وقالت :

- نعم .. لص .. إن عشيقك لص . عاش لصاً طوال عمره . كان يسرق وهو طفل .. لقد سرق ليقدم لك ذلك الخاتم الذى تضعينه فى أصبعك ، ولكى يقدم لك زهوراً . إنه لص محتال .. حتى اسمه الحقيقى هو أرسين لوبين . تذكرى هذا الأسم يا كلاريس .. فسيكون اسماً مشهوراً .

"اننى شاهدته وهو يمارس عمله . إنه بارع جداً .. ستكونا زوجين رائعين . ذلك إذا لم أحول بينكما . سيكون إبنكما ظريفاً.. ابن أرسين لوبين وحفيد البارون ديتيج .

وزاد غضبها وهى تنطق بهذه العبارة الأخيرة وقالت :

- هيا يا ليونار . عليك بها .

فصاح راوول وهو يغلى من الغضب هو الآخر .

- أيتها الشقية .. الويل له ولك إذا لمستما شعرة واحدة من شعرها . الويل لكما .

وبذل مجهوداً لم يحتمله جهاز بومانيان فوقع على الأرض .

ساد الصمت هنيهة . ولكن القيد كان متيناً فلم يرتخى ، فعاد الهدوء إلى جوزفين . وأخرج ليونار مسدسه ووضع فوهته على صدغ كلاريس .

وقال الكونتس : إذا أتى بأية محاولة فاقتلها .

لزم راوول الهدوء عندئذ ولم يتحرك ، فقد كان لايشك فى أن ليونار

لن يحجم عن تنفيذ ما أمر به ، وخشى على حياة كلاريس ، وقالت جوزفين : أرى أنك فهمت حقيقة موقفك وأنك ثبت إلى عقلك .

قال راوول : كلا . ولكننى أفكر .

- فى أى شئ ؟

- لقد وعدتها انها ستخرج ساعة ، وقلت لها أنه ليس هناك ما يخشى منه عليها ، وأريد أن أبر بكلمتى .

- لقد سبق السيف العذل .

- كلا يا جوزفين ، فأنت ستطلقين سراحها .

لم تحفل بقوله وتحولت إلى ليونار وقالت :

- هيا يا ليونار .

ولكن راوول صاح :

- توقف .. أطلق سراحها .. هل تسمعين يا جوزفين ؟ أريد أن تطلقى سراحها .

كان يتكلم بلهجة الواثق من أمره ، كما لو كان يعتقد أن أمره سيطاع ، فبدا الشك على وجه جوزفين وترددت .. على أن ترددها سرعان ما تلاشى وتمتمت تقول :

- ولماذا أطلق سراحها .. ألديك سبب معقول ؟

- نعم . سبب سيرغمك على إحناء هامتك والنزول على أمرى .

فسألته وقد ازداد قلقها : وما هو ؟ ماذا تريد ؟

- أريد أن تخلى سبيل كلاريس وأن تدعيها تعود إلى بيتها سالمة .

فضحكت فى استهزاء وقالت : أهذا كل ما تريد ؟

- نعم .

- وماذا تقدم لى نظير ذلك ؟

- سر اللغز .

فارتجف وسألته : هل تعرفه .

- نعم .

وهكذا تغير الموقف وانقلب فى لحظة وجيزة ، فلم تفكر الكونتس كاليو سترو في الانتقام ، وتراقصت جواهر الرهبان أمام عينيها ، وهذا ما أراده راوول .. وأرهف بومنيان أذنيه . وقالت جوزفين :

- هل يكفى أن أعرف سر اللغز .

أجاب راوول : كلا .. بل يجب أن تعرفى المعنى المراد منه .

- وهل عرفت أنت المعنى ؟

- نعم .

كانت جوزفين تعرف أن راوول ليس ممن يمزحون فقالت :

- اذكر لى هذا السر فأطلق سراح كلاريس .

- بل اطلقى سراحها أولاً فأتكلم ، ولن أتكلم بالطبع وأنا مقيد هكذا ، ولكن بعد أن يحل وثاقى .

- هل جننت ؟ اننى أسيطر على الموقف .

- بل أنا المسيطر عليه الآن ، فأنت لاتستطعين شيئاً من غيرى .

فهزت كتفيها وقالت : أقسم لى أنك ستتكلم .. أقسم بقبر أمك .

فقال : أقسم بقبر أمى أننى بعد أن تخرج كلاريس من هنا بعشرين دقيقة سأخبرك بمكان الصخرة المخبوءة فيها كنوز الرهبان .

ترددت جوزفين هنيهة ، وأخيراً التفتت إلى ليونار وقالت :

- دعها يا ليونار . وفك قيوده .

نظر ليونار إليها فى شئ من السخط كأنه لا يقرها على عملها هذا ولكنه ابتعد عن كلاريس . وفك قيود راوول على كره منه .

وحرك راوول ساقيه وذراعيه بضع لحظات حتى جرى الدم فى عروقه ، ثم اقترب من كلاريس وقال لها :

- إننى ألتمس معذرتك عن كل ما أصابك يا كلاريس .. ولكن لن يقع لك شئ بعد ذلك فأنت فى حمايتى ، فاخرجى الآن ، ولاتخشى على . سنلتقى فى القريب العاجل مهما كانت الموانع والعراقيل .

وخرجت كلاريس ، وأغلق الباب وراءها ثم وقف ينتظر .

ساد صمت عميق خلال عشرين دقيقة كان راوول فى اثنائها يختلج قلبه سروراً وابتهاجاً لنجاة كلاريس .. وأخيراً قالت جوزفين .

بلهجة الأمر : تكلم الآن .

ومع ذلك فقد انتظر دقيقة طويلة قبل أن يتكلم ، ثم أخرج ورقة كتب فيها :

" إنسان لبيب سوف يجد هذه الصخرة "

وتملكه الإنفعال وتغيرت ملامحه فجأة فقالت جوزفين فى لهفة :

- ما الخبر يا راوول ؟

فرد عليها قائلاً.. إن رهبان القرون الوسطى كانوا أغبياء مجانين ، ولم يكن الذين بحثوا عن كنوزهم بأقل منهم غباء وجنوناً .. فقد وضعوا كنوزهم فى مخبأ عادى . عرضه للظهور فى أى وقت .

وسكت هنيهة ثم استطرد :

- نعم . نعم ، هو ذلك .. إن كلمة السر موجودة فى نفس الكلمات الخمس التى ذكرتها كلاريس والتى قالت أنها رأتها فى قا ع الصندوق .. وهذه الكلمة مكونة من الحروف الأولى من الكلمات الخمس

المحفورة .. وهى "السها" ، وإذا عرفت أن السها اسم نجم صغير من النجوم السبع المعروفة بالدب الأكبر ، أدركت كل شئ يا جوزفين .

بدا على الكونتس إنها لم تدرك غرض راوول فقالت :

ـ ولكننى لا أفهم المعنى المراد من هذه الكلمة .

ـ حقاً .. ستفهمين الآن . أن الأديرة السبعة المذكورة والتى كانت تجبى الضريبة لها وضع خاص .. وقد رسمت هذه الأديرة على هذه الورقة فوجدت أن مكان كل منها فوق الأرض مماثل لمكان كل نجمة من نجوم الدب الأكبر، وعند ذلك رأيت أن هناك علاقة بين نجمة السها وبين مكان الصخرة التى فى جوفها الكنوز اننى ما كدت أرى ذلك حتى عرفت على الفور ما أقول لك الآن .

تمتمت تقول : إننى لا أفهم ما تقصد أن تقول !

ـ إن مواقع نجوم الدب الأكبر تنطبق تماماً مع مواقع الأديرة السبعة ، وحيث أننا عرفنا أن كلمة السها من النجوم هو نفس المكان الذى يشير إلى مكان الصخرة فى الأرض وأعنى به دير جوميج .

فما كادت الكونتس تسمع ذلك وتعى ما يقول حتى ضربته على رأسه بمقبض عصاتها .. وكان ذلك آخر شئ يتوقعه ، رغم أنه كان يعرف أن كاليو سترو معتادة على مثل هذا العمل الخبيث .. وانحنى إلى النصف فى مقعده ثم وقع على ركبتيه ، وتمدد بطول جسده وهو يقول : آه .. المجرمة ! إنها حتى لم تحترم العبقرية. آه .. أيتها الشقية ! هل قد قلبك من الحجر .. سحقاً لك يا جوزفين .. كان فى مقدورنا أن نقتسم الكنز معاً ، أما الآن فسأحتفظ به وحدى .





كان مجرد أغماء بسيط كذلك الذى يصيب الملاكم عندما يتلقى لكمة فى مكان حساس، ولكنه عندما أفاق رأى دون أية دهشة على كل حال ، أنه فى نفس موقف بومانيان،أسير مثله وظهره إلى الحائط.

ولم يشعر بأية دهشة كذلك عندما رأى جوزفين ممددة بين مقعدين وهى فريسة انهيار عصبى كذلك التى تتسبب بها أشد الانفعالات عنفاً ، والضربة التى أصابت بها راوول هى التى تسببت فى الأزمة . وكان شريكها ليونار يعنى بها ويقرب من أنفها بعض الأملاح .

ويبدو أنه استدعى أحد شركائه لأن راوول رأى الشاب الذى يعرفه باسم دومنيك والذى كان يحرس العربة أمام بيت بريجيت روسلان .

قال دومنيك عندما دخل ورأى الأسيرين : يا للشيطان ! أرى أنه قد وقعت مشاجرة ! بومانيان وداندريزى . إن الزعيمة قوية وعنيفة ، والنتيجة صدمة انفعالية .

قال ليونار : انتهى الأمر تقريباً .

- وماذا نفعل الآن ؟ نحملها إلى العربة ونمضى بها إلى الزورق .

وهما بأن يرفعاها ولكنها قالت فى صوت خافت جداً متخيلة أن راوول لن يسمعها : كلا .. سأسير وحدى .. وستبقى أنت هنا يا ليونار ، لكى تراقب راوول .

قال ليونار فى غير كلفة :

- دعينى أسوى حسابى معه ، فأنه سيصيبنا بكل شئ .

ـ اننى أحبه . ـ ولكنه لا يحبك .

ـ بل سيعود إلى .. ثم إننى لن أتخلى عنه ، مهما يحدث .

ـ ماذا تقررين إذن ؟

ـ لابد أن الزورق فى كوديبيك الآن .. سأستجم فيه حتى أول ساعات النهار فاننى بحاجة إلى الاستجمام .

ـ والكنز ؟ لابد من بعض الناس لمعالجة صخرة بذلك الحجم .

ـ سأخطر الأب كوربو وولديه لكى يوافوننى غداً صباحاً فى جومييج ، ثم اهتم بعد ذلك براوول ، مالم . ولكننى لا أطلب اكثر من ذلك فى الوقت الحاضر ، فاننى مرهقة .

ـ وبومانيان ؟ ـ سنطلق سراحه بعد حصولى على الكنز .

ألاتخشين أن تبلغ كلاريس عنا ،وأن يحاصر رجال الشرطة الفنار؟

ـ ما أحمقك ! أتظن أنها ستطلق رجال الشرطة وراء أبيها وراوول ؟

ونهضت من مقعدها ، ولكنها سرعان ما نهارت من جديد ، وبذلت جهداً خارقاً حتى أفلحت فى الوقوف . واقتربت من راوول وهى تعتمد على دومنيك وهمست : إنه مغمى عليه . راقبه جيداً يا ليونار . والآخر أيضاً ، فلو أن أحدهما هرب لانهار كل شئ .

ومضت فى بطء . وارفقها ليونار حتى العربة ، وعاد بعد قليل ومعه سلة بها بعض الطعام ، ثم سمع الجميع وقع حوافر الجياد وهى تنطلق فى الطريق .

وكان راوول يتحقق فى تلك اللحظة من متانة قيوده وهو يقول لنفسه "إن الزعيمة ضعيفة فى الواقع ، فهى أولاً تكلمت عن نواياها بصوت خافت غير اننى سمعت كل ما قالت ، وثانياً عهدت بمراقبتنا

إلى رجل واحد ، وهذا يدل على عيب طبيعى .

ومرت ساعات ، وهبط الليل ، وبدا كأن بومانيان قد نام فراح يعالج قيوده ولكن ليونار قال له : دع القيد والاحطمت رأسك ، ثم أمسك بطرف قيده وربطه بطرف قيد بومانيان ولف بقية القيد حول مقعد ووضع فوقه السكين التى أعطتها له جوزفين ثم جلس يدخن غليونه ، فى حين راح راوول يناجى نفسه ويلومها لأنه لم يكن شديد الحرص مع جوزفين . "كان يجب أن أتوخى الحذر معها . إنها لن تتفاهم معى أبداً ، ولكنها شديدة العزم شديدة الوضوح ، ولا ضمير لها على الإطلاق .. إلا أن بها عيباً واحداً يبعدها عن الكمال وهو جهازها العصبى المختل . وهذا يسعدنى لأنه سيتيح لى أن أصل قبلها إلى صخرة جومييج .

ذلك لأنه لم يشك لحظة واحدة فى استطاعته الهرب من ليونار . وتجمعت خيوط الظلام فى الغرفة ، فأشعل ليونار شمعة ودخن غليونه للمرة الثانية وشرب كأساً أخيرة من النبيذ ، وراح يغفو وتميل رأسه ذات اليمين وذات الشمال .. وكانت الساعة قد بلغت التاسعة مساء ، وقال راوول :إذا تمكنت من الهرب فى الساعة الحادية عشرة فسوف أكون فى ليلبون فى نحو منتصف الليل حيث أتناول العشاء، ثم أصل فى الساعة الثالثة صباحاً إلى المكان المقدس ، وما أن يبزغ الفجر حتى أكون قد ملأت جيوبى بكنوز الرهبان .

ولكنه كان لايزال كما هو فى الساعة العاشرة والنصف،وبدأ يشعر باليأس، عندما أحس بنسمة من الهواء تدخل من النافذة الجانبية وكان ليونار قد واربها فى شئ من الأهمال . والواقع إن إحدى مصراعى النافذة بدأ يتحرك إلى الداخل ، فنظر راوول إلى بومانيان . كان هو الآخر قد أحس بنفس النسمة ورأى النافذة تتحرك ، وتساءل

راوول : من .. أيكون الفلاحين .. أو نجدة غير متوقعة .. صديق لبومانيان ؟ أو متشرد اعتاد أن يقضى الليل فى الفنار .

وظهرت رأس فى الظلام ، وتسلق شخص النافذة بسهولة . وأدرك راوول على الفور أنها امرأة ، وعرف على الفور كذلك أنها كلاريس .

غمره انفعال لايوصف .. إذن فقد أخطأت جوزفين بلسامو عندما افترضت أن كلاريس لايمكن أن تتصرف .. ولاريب أن الفتاة أخذها القلق ، واحتجزها الخوف من الأخطار التى تهدده فتغلبت على تعبها وخوفها وكمنت غير بعيد عن الفنار ، وانتظرت هبوط الليل ، وهى تحاول الآن المستحيل لكى تنقذ ذلك الذى غدر بها بكل قسوة .

تقدمت ثلاث خطوات .. وتحرك ليونار .. ولكنه كان يوليها ظهره لحسن الحظ فتوقفت ، وإذ لم تصدر منه أية حركة من جديد تقدمت وأخذت السكين من فوق المقعد وقطعت طرفى القيدين وهى تحرص على أن لايتحرك المقعد من مكانه . وشاء الحظ أن لايستيقظ ليونار ، ولو أنه استيقظ لقتلته على الفور . وانحنت فوق راوول وهى تتحسس بيديها باحثة عن قيوده ، وخلصت قبضته ، وقال : اعطنى السكين .

أطاعته ، ولكن بومانيان كانت أسرع منه، فقد كان يعالج قيده منذ وقت طويل وأفلح فى تحرير يديه، فالتقط السكين، واغتاظ راوول فأمسك بذراعه، فإن بومانيان إذا تخلص من قيده قبله فإن كل أمله فى حصوله على الكنز سيضيع وكانت معركة عنيفة وصامتة، يستخدم كل منها فيها قوته وهو يعلم أن أقل حركة ستوقظ ليونار حتماً .

وراحت كلاريس تنتفض من الرعب وهى جاثية على ركبتها، تحاول التوسل إلى الرجلين ، وتحرص على أن لاتقع فى نفس الوقت . ولكن جرح بومانيان ، رغم عدم خطورته لم يسمح له باستمرار المقاومة فلم يلبث أن توقف .

فى هذه اللحظة حرك ليونار رأسه وفتح عيناه ونظر إلى المنظر الذى أمامه : الرجلين المنحنيين والقريبين ، أحدهما من الآخر وهما يتعاركان ، وكلاريس ديتيج على ركبتها .

ودام ذلك بضع ثوان . بضع ثوان مخيفة لأنه لم يكن هناك شك فى أن ليونار وهو يرى هذا المنظر لن يتردد فى أن يصرعهما بمسدسه ، ولكنه لم يره ، فإن عينه التى حدجتهما لم تستطع أن تراهما .. وانطبق الجفن دون أن يستيقظ الوعى .

وعندئذ قطع راوول قيد قدميه ووقف والخنجر فى يده . كان حراً ، وهمس وكلاريس تنهض واقفة : امضى .. انجى بنفسك .

قالت : كلا .. وأشارت له برأسها إلى بومانيان ، كما لو أنها لاترضى أن تتركه خلفها ، معرضا لانتقام ليونار .

وأصر راوول ، ولكنها لم تتزحزح من مكانها .. ولم يسع راوول عندئذ إلا أن يقر بعجزه وناول السكين لغريمه وهو يمس :

- إنه على حق .. علينا أن نكون باردى الأعصاب .. وتدبر أمرك .. ولكل منا ، منذ الآن ، حظه ونصيبه.

وتبع كلاريس ، فتسلق كل منهما ، الواحد بعد الآخر النافذة .. وإذ خرجا من الفنار أمسكت بيده وقادته حتى الجدار ، حيث توجد ثغرة ومرت منها بمساعدته ، ولكنه عندما تسلق الجدار بدوره لم ير أحدا فقال : كلاريس .. أين أنت .

كانت الليلة مدلهمة لانجوم فيها .. وسمع خطوات خفيفة تجرى بين الأدغال ، فولجها ولكنه اصطدم بالأغصان والأشواك قاطعة عليه الطريق فاضطر أن يعود وفكر: إنها تهرب منى .. غامرت بكل شئ وأنا سجين لكى تنقذنى.. والآن وقد أصبحت حراً فهى لاتريد أن ترانى، فإن خيانتى لها، وجوزفين بلسامو ، والمغامرة الفظيعة ، كل

ذلك أفزعها .

ولكنه ما أن خرج من نطاق الفنار حتى انحدر شخص من الجدار الذى سبق أن تسلقه . هرب بومانيان بدوره ، وعلى الفور دوت طلقات نارية فى نفس الاتجاه وأسرع راوول فلجأ إلى مكان آخر ، فقد كان ليونار منحنياً فوق الثغرة ، وراح يطلق النار فى الظلام .

وهكذا انطلق الغرماء الثلاثة فى حوالى الساعة الحادية عشرة، فى نفس الوقت ، إلى صخرة جوميبج ، على بعد إحدى عشرة مرحلة ، مضى كل منهم بوسائله الخاصة ، وأصبح الأمر مرهوناً بذلك .

كان هناك بومانيان وليونار ، وكل منهما له شركاؤه ، وعلى رأس منظمات قوية ، فإذا كان أصدقاء بومانيان ينتظرونه ، وإذا استطاع ليونار أن ينضم إلى الكاليو سترو ، فإن الغنيمة ستكون من نصيب الأسرع . ولكن راوول كان أصغرهم وأكثرهم نشاطاً وحيوية ولو أنه لم يكن من الحماقة بأن ترك دراجته فى ليلبون لكانت كل الفرص مواتيه له .

ويجب الاعتراف بأنه تخلى مؤقتاً عن تعقب كلاريس فإن البحث عن الكنز كان شاغله الوحيد ، فاجتاز العشرة كيلو مترات التى تفصله عن ليلبون فى ساعة ، وأيقظ خادم حانته ، وتناول طعاماً سريعاً ، وبعد أن أخذ فى حقيبتين صغيرتين بضع خراطيش من الديناميت ، كان قد حصل عليها من قبل ذلك بأيام ، ركب دراجته بعد أن لف على مقودها حقيبة من القماش لكى يضع الأحجار الكريمة فيها .

وحسب حسبته كما يلى : من ليلبون إلى جوميبج ثمانى مراحل ونصف سأكون هناك قبل طلوع النهار، وسأعثر على الصخرة وأفجرها بالديناميت . ومن الممكن أن تفاجئنى الكاليو سترو أو بومانيان فى منتصف العملية . وفى هذه الحالة لابد أن نقتسم .

وتجاوز كوديبيل ، وسار على قدميه حتى التلة التى تؤدى إلى نهر السين . كان زورق جوزفين موجوداً ، ورأى نوراً منبعثاً من نافذة القمرة التى تشغلها المرأة الشابة فقال : لاريب أنها تستبدل ثيابها . وستأتى المركبة للبحث عنها ، وربما يعجل ليونار العملية ولكن فات الوقت أيتها السيدة !

وانطلق بكل سرعة ، ولكن فيما هو يهبط الساحل فى موضع وعر أحس بأن عجلة الدراجة اشتبكت فى عقبة ولم يلبث أن اندفع فى عنف فوق كومة من الحصى .

وظهر رجلان على الفور ، وسلط أحدهما نور مصباح كهربائى على المنحدر الذى تكوم راوول خلفه. وقال : إنه هو.. لايمكن أن يكون أحداً غيره . قلت لكما : حبل ممدود ونمسك به .

كان جود فرى ديتيج هو الذى تكلم . وقال بنيتو على الفور :

ـ سنمسك به .. ذلك إذا أراد . هذا الشقى .

وكان راوول قد اختفى كالحيوان الطريد فى دغل من العوسج والأشواك ، حيث تمزقت ثيابه ، وأصبح بعيداً عن متناولهم . وراح الآخرون يسبون ويلعنون عبثاً لأنهم لم يعثروا عليه . وقال صوت ضعيف صادر من العربة ، وكان صوت بومانيان :

ـ كفى بحثاً . المهم الآن هو تحطيم دراجته ، فافعل يا جود فرى ، ولنسرع فقد استراح الجواد بما يكفى .

ـ ولكن ، أنت يا بومانيان . هل أنت فى حالة تسمح .

ـ سواء سمحت أم لا فلابد من الوصول . ولكننى أفقد كل دمى بهذا الجرح اللعين . إن الضمادة انفكت .

وسمعهم راوول يحطمون دراجته . ولم تلبث العربة أن انطلقت .

وأسرع راوول خلفها .

كان يغلى من فرط الغيظ .. ما كان ليترك المعركة لأى سبب من الأسباب . لم يعد الأمر يتعلق بملايين وملايين ، وبشئ يتيح لحياته معنى رائعاً . ولكن أصبح الأمر الآن أن يتعلق بكرامته هو بالذات ، فقد حل اللغز العويص ، ولابد له الآن يكون أول من يصل إلى الهدف ، فإنه إذا لم يصل وإذا لم يحصل على نصيبه ففى ذلك إهانة له لا تحتمل حتى أواخر أيامه .

ولهذا ، ودون أن يهتم بتعبه ، راح يجرى على بعد مائة متر من العربة ، تشجعه فكرة أن كل المعضلة لم تحل بعد وأن اعداءه سيضطرون مثله إلى البحث عن مكان الصخرة ، وانه سوف يتفوق عليهم فى هذه الناحية .

على أن الحظ ساعده ، فعندما اقترب من جوميج ، التقى بخورى القرية ، وكان عائداً بصحبة طفل . وسار راوول معه ، وفى الطريق سأله عن حانة ثم تظاهر بأنه من هواة الآثار واستعلم منه عن صخرة سمع عنها ويقال انها صخرة الملكة. أو شئ من هذا القبيل . وقال الخورى : آه . يبدو لى انك تتكلم عن الصخرة التى نشير إليها هنا باسم صخرة أجنس سوريل ؟

ـ وهل هى فى جوميج ؟

ـ تماماً . على بعد مسافة صغيرة من هنا . ولكنها لم تعد أثراً تاريخياً ، فهنا أصبحت عبارة عن صخور صغيرة منبثقة من الأرض ، وأعلا صخرة فيها تشرف على نهر السين وتعلو بنحو متر أو مترين .

ـ أظنها فى أرض عامة إذا لم أخطئ .

ـ كانت كذلك منذ بضع سنوات .. ولكن المجلس البلدى باعها لأحد رعاياى وهو السيد سيمون تويلار ، وقد أراد أن يوسع أملاكه .

ترك راوول الخورى وهو لايتمالك نفسه من فرط الفرح، فقد تزود بمعلومات دقيقة بحيث تجنب بلدة جوميج وسلك شبكة من الطرق المتعرجة تؤدى إلى مكان الصخرة ، وبهذه الطريقة يسبق أعداءه بمدة طويلة .

والواقع أنه قبيل الساعة الثالثة كان يجتاز طريقاً أدى به إلى أملاك سيمون تويلار، ورأى على نور بضعة أعواد من الثقاب مزرعة أسرع باجتيازها وافضت به إلى سد خيل إليه أنه حديث البناء يمتد بمحاذاة النهر . وبلغ نهايته اليمنى ، ولم يشأ أن يستنفذ ما معه من ثقاب فلم يعد يرى شيئاً .

ومع ذلك فقد ظهرت بقعة بيضاء فى الأفق راحت تشق كبد السماء . فانتظر والسرور والابتسام يفيضان به ، فقد أصبحت الصخرة قريبة منه ، على بعد خطوات . طوال سنوات ، وربما فى مثل هذه الساعة بالذات ، أقبل رهبان إلى هذا المكان ، خلسة لكى يدفنوا فيه ثرواتهم ، وهو راوول داندريزى سيرث ألف ألف راهب كدوا فيما سبق وبذروا فى كل أنحاء فرنسا وحصدوا دون توقف . ويالها من معجزة ، أن يحقق فى سنه هذه مثل هذا الحلم ، وأن يكون الند لأقوى الأقوياء، وأن يكون من بين الأسياد المهيمنين .

وسار بمحاذاة السد ، وبدأ يتبين حدود ولون الأشياء . لحظة مهيبة . راح قلبه يدق بشدة ، وفجأة أبصر على بعد ثلاثين خطوة منه الأكمة المتاخمة للمزرعة والتى تظهر منها ، ومن بين الأعشاب ، بعض الصخور . وتمتم وهو فى أشد حالات الانفعال :

ـ إنه هنا . هنا . اننى بلغت الهدف .

وفى وثبتين اجتاز الخطوات العشر التى تفصله عن الأكمة .

افلتت من بين شفتيه صيحة ، وطالعت عينيه الحقيقة البشعة ، فإن

الجزء الأوسط من الصخرة كان مبقورا . كانت الصخرة محطمة ، وقد تناثر حولها الحصى والعشب المحترق وكان الدخان لايزال يتصاعد منه . ولم تعد هناك أية ذرة من ذهب أو فضة .

فقد سبقه العدو .

ومرت به أكثر من عشرين دقيقة وهو ينظر إلى الحقيقة المرة ، حيث تلاشت أحلامه في السيادة والسيطرة . وكان مستغرقاً إلى حد أنه لم يسمع صوت عربة تتوقف فى الطريق ، وأن لايشعر بالرجال الثلاثة الذين هبطوا منها ، إلا عندما اقترب أحدهم من الصخرة وأطلق صيحة يأس .

كان بومانيان ومعه صديقاه ديتيج وبنيتو ، يساندانه .

وإذا كانت خيبة أمل بومانيان شديدة فإن عناء الرجل الذى قامر بكل حياته على هذا الكنز الغامض كان أشد ، فقد اصفر وجهه وزاغت عيناه وتلوثت ضمادة جرحه بالدم ، وراح ينظر فى غباء إلى الأرض المدمرة والصخرة المبقورة كما لو أنه ينظر إلى أشد المناظر بشاعة وفظاعة .

كان يبدو كما لو أن الدنيا انهارت أمامه ، وانه يتأمل هاوية مليئة بالهول والرعب. وتقدم راوول منه وقال :

- إنها هى .

لم ينطق بومانيان . وهل هناك شك فى ذلك ؟ واعتدل فى وقفته وردد البصر حوله بعينين محزونتين ثم ، وفجأة رسم على صدره علامة الصليب ثم طعن نفسه بالسكين . تلك السكين التى كانت ملكا لجوزفين بلسامو .

كانت الحركة مباغتة وغير متوقعة ، بحيث لم يستطيع أحد أن

يتدخل ، وقبل أن يدرك صديقاه وراوول ما حدث ، انهار بومانيان فى الحفرة ، بين بقايا المكان الذى كان خزانه الرهبان . وأسرع صديقاه إليه . كان لايزال يتنفس . وتمتم : قسيس . قسيس .

أسرع بنيتو بالابتعاد، والتقى ببعض الفلاحين فسألهم وركب العربة . وجثا ديتيج بجوار الحفرة وراح يصلى، ويضرب بيديه والذعر يحفر وجهه. وانحنى راوول فوق بومانيان وقال له :

ـ أقسم لك اننى سأجدها ، واسترد الكنز منها .

كانت الكراهية والحب ثابتان فى قلب المحتضر ، ومثل تلك الكلمات فقط يمكن أن تطيل حياته بضع دقائق ، ففى ساعة الاحتضار ، فى انهيار أحلامه ، كان يتعلق فى يأس بكل ما يعنى الثأر والانتقام .

بحثت عيناه عن راوول ، فانحنى فوقه أكثر وسمعه يدمدم :

ـ كلاريس .. كلاريس ديتيج .. يجب أن تتزوجها.. اسمع . كلاريس ليست ابنة البارون . إنه اعترف لى بذلك . إنها ابنة إمرأة أخرى كان قد تزوجها .

قال راوول فى صوت هادئ رزين : أقسم لك اننى سأتزوجها .

نادى بومانيان قائلاً : جود فرى .

كان البارون لايزال يصلى، فضربه راوول على كتفه، وأحناه فوق بومانيان. وتمتم هذا الأخير: ستتزوج كلاريس داندريزى . اننى أريد ذلك .

قال البارون وهو عاجز عن المقاومة : نعم . نعم .

اقسم لى .   ـ أقسم لك .

ـ ستعطيه كل أموالك لكى ينتقم لنا . كل الأموال التى سرقتها. هل تقسم ؟

ـ أقسم .

ـ أنه يعرف كل جرائمك . وعنده الأدلة . إذا لم تطع فسوف يبلغ عنك .

ـ سأطيع .

ـ عليك اللعنة إذا كنت تكذب .

وراح صوت بومانيان يخرج كالأنفاس المحمومة ، وشيئاً فشيئاً ، لم تعد الكلمات واضحة . وانحنى راوول فوقه أكثر لكى يفهمها .

ـ راوول . سوف تطاردها .. يجب أن تنتزع منها كل الجواهر .. إنها الشيطان . اسمع . اننى اكتشفت أن لها زروقا فى الهافر .. اسمه "ليفير لويزان" . اسمع .

لم تعد لديه القوة لكى يتكلم . ومع ذلك فقد سمعه راوول يقول أيضاً : امض . حالاً . ابحث عنها . ابتداء من اليوم .

وانطبقت العينان ، وبدأ الاحتضار . ولم يكف جود فرى ديتيج عن ضرب صدره بيديه وهو جاث في الحفرة .

• • •

وفى المساء نشرت إحدى صحف باريس فى طبعتها الأخيرة :

"انتحر هذا الصباح فى بلدة جوميج مسيو بومانيان، المحامى المعروف فى الدوائر المناهضة للملكية، والذى سبق أن أعلن عن موته خطافى أسبانيا.وأسباب ذهابه إلى تلك البلدة وانتحاره غير معروفة"

وفى اليوم التالى نشرت الصحف بضعة أنباء نوجزها فى المقال التالى بكل أمانة .

"شاهد الأمير لافورنيف ، أثناء وجوده فى الهافر لتجربة يخت النزهة الذى اشتراه حديثاً مأساة فظيعة ، فقد كان فى طريق عودته

إلى السـاحل الفرنسـي عندمـا شب حـريق وسـمع انفـجـارا على بعد نصف ميل تقريباً .

ونشـيـر في هذه المنـاسـبة إلـى أن ذلك الانفـجـار سـمع فى أمـاكن عديدة من الساحل .

"وعلى الفـور ، أدار الأمـير لافورنيف يخته إلى مكان الحادث حيث اكتـشف بعض الحطام التى تطفو على سطح البـحر ، وفـوق إحداها أحد البـحارة تمكن من التقاطه، ولكنهم ما كادوا يستجوبونه ويعرفون منه أن الزورق اسمـه "ليـفـير لويزان" وأنه ملك الكونتس دى كـاليـو سـترو حـتى ألقـى بنفسـه فى الماء من جديد وهو يصـيح : انهـا هـى . انها هـى .

"والواقع أنه على ضـوء المصـابيح شـوهد حطام آخـر تتـشـبث به امرأة تطفو رأسها على سطح البحر .

"وأفلح الرجل فى اللحاق بها ورفعها ، ولكنها تشبثت به فى يأس بحيث شلت حركته ، واختفيا معا . ولم تجد كل الأبحاث .

"وعندما عاد الأمير لافورنيف إلى الهافر أدلى بشهادته وقد أيدها البحارة الأربعة الذين يعملون على اليخت" .

وأردفت الجريدة .

"وتحمل الأنباء الأخيرة على الاعتقاد بأن الكونتس دى كاليو سترو كانت أفاقة ، معروفة باسم مدام بللجرينى ، وتعرف أيضـاً فى بعض الأوسـاط باسم بلسـامو ، وقد طاردها البوليس وأوشك أن يعتـقلها مرتين أو ثلاث مـرات فى مـقـاطعـة كـو ، حـيث كانت تعمل فى الأيام الأخيرة .. ولاريب أنها أرادت أن تبحر إلى الخارج ، وهلكت هى وكل بحارتها فى حادث الانفجار .

"ونذكر أيضاً ، مع كل التحفظات بأنه يشاع أن هناك ارتباطاً بين بعض مغامرات الكونتس دى كاليو سترو ومأساة جوميج الغامضة . ويتحدثون عن كنز مدفون سرقته وعن مؤامرات ومستندات قديمة . ولكننا ندخل هنا فى مجال الاسطورة ، ولهذا نتوقف ونترك للعدالة مهمة إماطة اللثام عن هذه القضية" .

•••

بعد ظهر هذا اليوم ، دخل راوول مكتب البارون ديتيج فى قصره . وكان يتناول الطعام مع ابن عمه أوسكار دى بنيتو . وقال دون أية مقدمات : جئت أطلب يد الآنسه ديتيج ، وأعتقد .

ولم يكن مظهره لائقاً أبداً وهو يطلب الزواج ، فقد كان عارى الرأس ، وفوق ظهره سترة بحرية ويرتدى بنطلوناً قصيراً ، وفى قدميه خف عادى .

ولكن جود فرى ديتيج لم يهتم بمظهره ، ولابطلبه ، فقد كان غائر العينين وبوجهه تجاعيد تدل على مبلغ ألمه . وبسط راوول بعض الجرائد وهو يتأوه قائلاً : هل قرأت ؟ الكاليو سترو ؟

أجاب راوول : نعم . اننى أعرف .

كان يكره هذا الرجل . ولم يسعه إلا أن يقول :

- وهذا خير لك ، أليس كذلك ؟ فإن موت جوزفين بلسامو النهائى يخلصك من حمل ثقيل .

تمتم البارون : ولكن النتيجة . والعواقب .

- أية عواقب ؟

- العدالة . ستحاول أن تجلو الحقيقة، فمن الآن ، وبمناسبة انتحار بوميانيان يتحدثون عن الكاليو سترو . وإذا ربطت العدالة جميع خيوط

القضية فسوف تمضى بعيداً . حتى النهاية .

داعبه راوول قائلاً : نعم . حتى الأرملة روسلان . وحتى تقتل جوبير . أى حتى تصل إليك وإلى ابن عمك بنيتو .

ارتجف الرجلان ، فهدأهما قائلاً : اطمئنا أن العدالة لن تحاول أن تجلو كل هذه المسائل البغيضة لسبب وجيه وهو أنها ستحاول على العكس أن تتكمتها ، فقد كان بومانيان يتمتع بحماية بعض الأقوياء الذين لا يحبون الفضيحة ولا كشف أمورهم. ستحفظ القضية . إن الذى يزعجنى أكثر إنما هو شئ آخر .

قال البارون : وما هو ؟

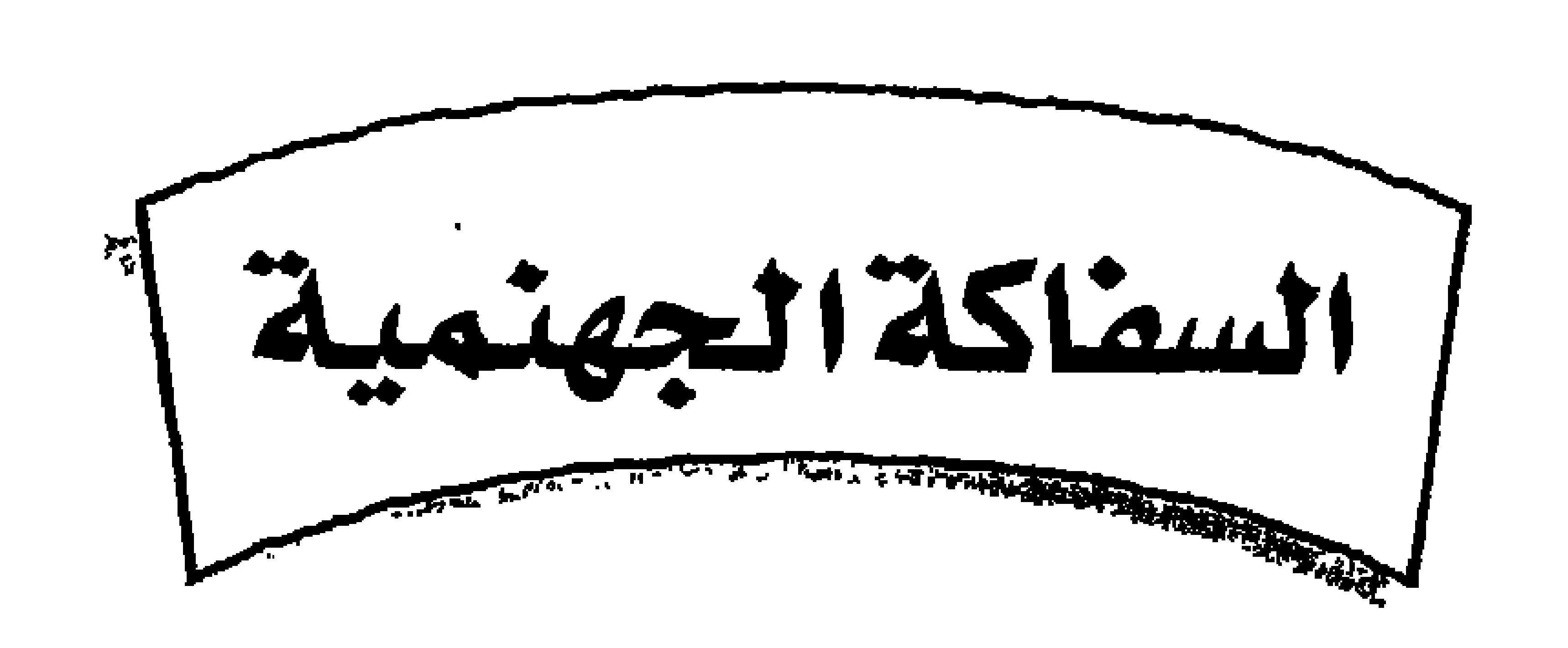
ـ هو انتقام جوزفين بلسامو .

ـ ولكن مادامت قد ماتت .

ـ حتى إذا كانت قد ماتت فلابد من توخى الحذر . يوجد فى آخر البستان كوخ صغير كان معداً للحارس ، وهو الآن مهجور . سأقيم فيه . حتى الزواج . أخطر كلاريس بوجودى وقل لها أن لاتستقبل أى أحد، ولا حتى أنا . ومع ذلك فيجب أن تقبل هذه الهدية بمناسبة الزواج ، وأرجوك أن تقدمها لها نيابة عنى .

ويسط راوول للبارون المشدوه ياقوتة ضخمة لامثيل لها فى صفائها ونقائها .





همست جوزفين بلسامو ألقوا المرساة وأحضرو القارب إلى هنا .

كانت تنتشر فوق البحر ضبابة كثيفة تزيد كثافة الظلام بحيث لم يكن يمكن تمييز أضواء ايترتا إلى حد أن أنوار الفنار لم يكن لها أى تأثير ، وراح يخت الأمير لافورنيف يتقدم فى بطء كما لو أنه يتحسس طريقه ، وقال ليونار : ما الذى يثبت لك أننا أمام الشاطئ .

أجابت قائلة : هذا جنون . لقد مر على نجاحنا خمسة عشر يوماً ، واعترف أن ذلك بفضلك ، وانتصرنا فى آخر مغامرة ، ومجموعة الجواهر كلها قد وضعناها فى حقيبة موجودة فى إحدى الخزائن بلندن ، واختفى كل خطر ، وأصبحت الكاليو سترو وبللجرينى وبلسامو والمركيزة دى بلونت فى قاع البحر نتيجة لغرق الزورق ، وشهد عشرون شاهداً الانفجار وهم وقوف على الشاطئ ، وأصبحت أنت سيدة الموقف وانتصرت على كل أعدائك ، وتأتين الآن إلى نفس المكان الذى أصابك بسوء الحظ لكى تواجهى العدو الوحيد الحقيقى ، وأرى عدو يا جوزين . عدو عبقرى لولاه لما اكتشفنا الكنز أبداً . اعترفى معى أن هذا جنون .

تمتمت : ولكننى أحبه ولا أستطيع البعد عنه .. اننى أحب ، وهذه أول مرة .. أما المرات السابقة فلم يكن لها أى معنى ، فى حين أن راوول ..

عرفت بهجة حياتى الحقيقية عن طريقه هـو ، ولكننى عرفت أيضـاً شـقـائى العظيم . لم أعـرف السـعـادة قبله . ولم أكن أعـرف العـذاب والآلام كذلك . ثم . ثم ، انتهت السعادة . وحين يخطر لى أنه سيتزوج وأن زواجهما سيثمر طفلاً .. إن هذا فوق طاقتى . كل شئ إلا هذا . أفضل أن أخاطر بكل شئ يا ليونار . أوثر أن أموت .

قال في صوت خافت : مسكينة أنت يا جوزين .

ولزما الصمت مدة طويلة ثم قالت : ولكنني لا أتعرض لأى خطر يا ليونار . ولا حتى للفشل ، فسوف أختطفه ، وقد أعددت كل شئ .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ بمساعدة دومنيك ، فقد التحق كسائس لدى البارون ديتيج منذ مدة ، حتى قبل أن يظهر راوول .

ـ ولكن راوول يعرفه .

ـ ربما رآه مـرة أو مـرتين ، ولكنك تعـرف مـدى براعـة دومنيك فى التنكر ، ومـن المستحيل أن يعرفـه راوول بين كل الخدم ، فى القصـر وفى الاسطبلات .. وقـد أطلعنى دومنيك على كل مـا أريد ، وأعـرف السلة التى ينام فيها راوول ، وأعرف متى يصحو ، كما أعرف أنه لم ير كلاريس بعد، وأنهم يقومون بالاجراءات الخاصة بالزواج . وقد سمع دومنيك بضع عبارات بين راوول وبين البـارون ، عندمـا مضى للقائه فى القصر. ولم يرق الشك إلى أى أحد منهم فى موتى ، ولكن راوول طلب من البارون أن يكون على حذر ، حتى بعد موتى .. وهو يراقب ويقوم بالحراسة حول القصر ، ويسأل الفلاحين .

ـ وهل سيتركك دومنيك تذهبين ؟

ـ نعم .. ولكن لساعة فقط .. نضرب ضربتنا بجرأة وسرعة أثناء

الليل ثم نبادر بالهرب على الفور .. والليلة بالذات ، فيما بين العاشرة والحادية عشرة . إن راوول يقيم فى كوخ قديم كان معداً لإقامة الحارس ، فما أن ينام حتى نلفه في المرتبة والغطاء فهما عريضان ، ونأتى به إلى اليخت ثم نرحل فى نفس الليلة .

- ودومنيك .   - سيرحل معنا .

- ألم تصدرى إليه أمراً خاصاً بخصوص كلاريس ؟ إنك تكرهينها ، واعتقد أنك كلفت دومنيك بمهمة خاصة .

ترددت قليلاً ثم قالت : ليس هذا من شأنك .

- ومع ذلك .

وانزلق القارب بجوار اليخت ، وقالت جوزين بلهجة المزاح :

- اسمع يا ليونار.. منذ أن جعلتك الأمير لانورنيف، ومنحتك يختاً جميلاً أصبحت متطفلاً. فدعنا لانخرج من اتفاقنا..أنا أصدر الأوامر، وعليك أنت أن تطيع . ولاحق لك أبداً إلا فى بعض الايضاحات ، وقد زودتك بها ، فافعل كما لو أنها تكفيك .

قال : إنها تكفينى ، واعترف أنك دبرت أمورك بكل حذق وذكاء .

- هذا أفضل . فلنهبط الآن .

وهبطت هى الأولى فى القارب،وتبعها ليونار، وأربعة من شركائهم. وقام اثنان منهم بالتجديف نحو الشاطئ . وسألها ليونار :

- هل أنت واثقة إننا لن نلتقى برجال الجمارك ؟

- كل الثقة . فإن برقية دومنيك قاطعة . وسنلتقى به بالقرب من كوخ راوول .

وبلغوا الشاطئ ، وتقدموا نحو القصر فى سكون وهدوء تامين

بفضل الظلام والضباب . وعندما اقتربوا من الكوخ قطعت الكاليو سترو على رجالها الطريق قائلة : انتظرونى . وسألها برنار هل أصحبك ؟

ـ كلا . سأستطلع الكوخ ثم أعود لأبحث عنك وندخل معاً .

وتقدمت وحدها فى سكون وحذر ، وهى تحاول أن لا يصدر منها أى صوت ، وتبينت الكوخ خلال الظلام ، ولمست بيدها مصراعى النافذة ، ولم تكن محكمة الإغلاق إذ تلاعب دومنيك بها . ووربت جوزفين المصراعين بحيث أحدثت فتحة تسلل منها قليل من النور .

ألصقت جبهتها ورأت راوول بالداخل راقداً يقرأ كتاباً على ضوء مصباح بجوار الفراش . ومرت فترة ثم أطبق الكتاب ونام .

وإذ رأت جوزفين ما أرادت عادت إلى شركائهم . وكانت قد أصدرت إليهم تعليماتها ولكنها كررتها من جديد ثم قالت .

ـ لا أريد عنفاً لا طائل منه يا ليونار . وحيث أنه ليس بين يديه ما يدافع به عن نفسه فلن تحتاجوا إلى أسلحة ، فأنتم خمسة ، وهذا يكفى .

قال ليونار : وإذا قاوم ؟

ـ عليك أن تتصرف بحيث لايستطيع المقاومة .

ودخل الرجال الخمسة، وتم كل شئ بسرعة . ولم يستقيظ النائم إلابعد أن أصبحت كل مقاومة غير ممكنة ، فقد غطوة بالأغطية السميكة وجمعوا طرفى المرتبة حوله وربطوها مسرعين . ولم يتطلب الأمر أكثر من خمس دقائق . ولم تصدر ولو صيحة واحدة ، ولم يتبعثر أى شئ فى الغرفة .

وهكذا انتصرت الكاليو سترو مرة أخرى ، وسألها ليونار :

ـ ماذا يجب أن نفعل ؟

ـ احملوه إلى المركب .

واقترب ليونار منها وسألها قائلاً : ألا تأتين معنا ؟

ـ كلا ، فإننى انتظر دومنيك .

ـ بسبب الفتاة . أليس كذلك ؟

ـ نعم .

وحمل الرجال راوول وخرجوا من النافذة وأغلقتها خلفهم ثم انتظرت .

ودقت ساعة الكنيسة الحادية عشرة ، فأرهفت السمع ، وسمعت صفيراً خافتاً ففتحت باب الكوخ وردت على الصفير بصفير آخر خافت ، فأسرع دومنيك إليها ، ودخلا الغرفة معا ، وقال قبل أن تسأله : قضى الأمر .

قالت فى إعياء وضعف بحيث اضطرت إلى الجلوس : هل تألمت ؟

ـ كلا . كانت نائمة .

ـ وهل تأكدت من انها ماتت .

ـ طبعاً، فقد طعنتها ثلاث مرات .. ثم واتتنى الشجاعة فبقيت لكى أتأكد. ولكن لم يكن هناك دا ع لذلك، فقد سكتت أنفاسها وبردت يداها

ـ وإذا لحظ أحد ذلك ؟

ـ محال .. فلايدخل أحد غرفتها قبل الصباح .. وسيتحققون من الأمر عندئذ فقط .

لم يجرؤ أى منهما على النظر إلى الآخر.. وبسط دومنيك يده ، فأخرجت من صدرها عشر ورقات مالية ناولتها له أخذها وهو يقول :

ـ شكراً لك . ولكن لو طلبت منى أن أقوم بذلك مرة أخرى فسوف ارفض ، ماذا يجب أن أفعل الآن ؟

ـ انصرف .. سوف تلحق بالآخرين إذا عدوت .

ـ حسناً .. حسناً .. ولكن أنت ؟

ـ سأرى إن كانت هناك أوراق فيها خطر علينا ثم انضم إليكم .

وما أن خرج حتى راحت تفتش أدراج مكتب صغير . وإذ لم تجد شيئاً فتشت جيوب راوول ، وكان قد طواها على مقعد بجوار الفراش قبل أن ينام .

ولفتت المحفظة اهتمامها . كان بها بعض النقود وبطاقات زيارة باسم راوول داندريزى وصورة كلاريس .

تأملت الصورة طويلاً، باحساس لم يكن فيه حقد ولا كراهية وإنما قسوة لاترحم . ثم بقيت جامدة وقد استغرقتها الأفكار. وكان أمامها مرآة فنظرت إليها، وقد وقفت بضع دقائق وهى كذلك ثم عادت إلى استغراقها. ودقت الساعة الربع بعد الحادية عشرة ولكنها لم تتحرك . وكان يخيل إليها أنها نائمة، وبدا كأنها تعيش فى حلم ، وأحست كأنها ترى صورة محيرة حاولت عبثاً أن تعتاد عليها. ظهرت تلك الصورة من خلف الستائر، وراء الفراش. وبدا كأن يدا تخرج من خلفها .

وامتدت اليد أكثر فأكثر، وتبعها ذراع، وبرز فوق تلك الذراع رأس.

وكانت جوزفين بلسامو معتادة على الجلسات الروحانية، حيث ترسم الظلال أشباحاً ويعطى الوهم إسماً كذلك الذى يصوره لها خيالها خارجا من الظلمات . وكان ذلك الشبح يرتدى ثياباً بيضاء، ولم تدر إذا كان توتر فمه يعبر عن ابتسامة رقيقة أم تكشيرة غاضبة وتمتمت : راوول . راوول . ماذا تريد منى ؟

وأبعد الشبح إحدى الستائر وتقدم إلى الفراش : خفضت جوزفين جنبيها وهى تتأوه ثم أسرعت وفتحتها . كان الوهم يقترب وهو يصدر حركات مسموعة تقطع صمت الكوخ . وأرادت أن تهرب ، ولكنها لم تلبث أن أحست على كتفها بيد لم تكن يد شبح طبعاً . وسمعت صوتاً مرحاً يقول : اطلبى من الأمير لافورنيف أن يقدم لك رحلة صغيرة للاستجمام ، فأنت بحاجة إلى قليل من الراحة أيتها العزيزة جوزفين . ولكن كيف هذا . هل تحسبيننى شبحاً ، فرغم اننى فى منامة النوم فأنا لست غريباً عنك .

وبينما كان يرتدى بدلته راحت تكرر مشدوهة : أنت .. أنت . .

جلس بجوارها وقال : نعم . أنا . لاتلومى الأمير لافورنيف ، ولا تظنى أنه تركنى أهرب ثانية . كلا ، كلا . إن ما حملوه وخرجوا به إنما هو مرتبة بداخلها تمثال بالحجم الطبيعى . مانيكان . أما أنا فلم أغادر مكانى وراء الستائر منذ أن تركت مكانك خلف النافذة .

بقيت جوزفين بلسامو جامدة مكانها، عاجزة عن الاتيان بأية حركة، وكما لو أنها أوسعت ضرباً ، فى حين قال راوول :

- عجباً . أنت لست فى حالة طبيعية . هل تريدين كأساً من النبيذ لكى ينعشك . اعترف لك على كل حال ياجوزفين إننى أدرك انهيارك ، ولا أريد أن أكون مكانك ، فكل شركائك قد انصرفوا ، وليس هناك أية نجدة ممكنة قبل ساعة ، وأنت أمامى فى غرفة مغلقة ، ولك الحق فى أن ترى السواد فى كل شئ . إنك سيئة الحظ حقاً .

وانحنى والتقط صورة كلاريس وقال : ما أجمل خطيبتى ، أليس كذلك ؟

رأيت بسرور إنك كنت تتأملينها بإعجاب منذ لحظات . هل تعرفين أننا سنتزوج بعد أيام ؟

تمتمت الكاليو سترو : إنها ماتت . ماتت .

قـال سـاخـراً : مـاذا تريدين ؟ سـواء مـاتت أو على قـيـد الحـيـاة فسـأتزوجـهـا .

سنتدبر أمرنا كيفما نستطيع . إنك دبرت أمورك جيداً أنت الأخرى

قالت جوزفين وقد بدأت تلك السخرية تثير قلقها : ماذا تعنى ؟

ـ نعم . دبرت أمـورك جـيداً . فـقـد أغرقك ليـونار أول مـرة ، والمرة الثانية غرقت مع زورقك . ومع ذلك هذا فإن ذلك لم يمنع وجودك هنا وفى نفس الوقت ، ليس بسـبب أن كـلاريس تلقت ثلاث طـعنات من سكين فى قلبها أن لا أتزوجها . أولاً ، هل أنت واثقة مما تقولين ؟

ـ إن رجلاً من رجالى هو الذى طعنها .

ـ أو على الأقل زعم لك أنه طعنها .

نظرت إليه متسائلة وقالت : ولماذا يكذب على ؟

ـ عجباً ! لكى يحصل على العشرة الآف فرنك التى وعدته بها

ـ إن دومنيك لا يمكن أن يخونني ، لن يخـونني حتى من أجل مـائة ألف فرنك .

وهز راوول رأسـه وقـال : من الغـريب أن كل منا قـد أخطأ نحـو الآخـر . فـهل أنت من السـذاجـة أيتـهـا العـزيزة جـوزفين لكى أصـدق لحظة واحدة الانفجار الذى أصـاب الزورق . إن ذلك الانفـجـار جـاء مناسباً لك فى الواقع ، فإن يديك متعلقتان بالجرائم وملوثتان بالدم ، والبـوليس يسـعى وراءك . وعندئذ تغـرقين الزورق وتغـرقين مـعـه كل جـرائم الماضى، والكنز المسروق وغيره من ثروات . كل ذلك يغـرق ، ويعتقد البوليس عندئذ أنك لقيت حتفك ، وتغيرين اسمك وتبدأين حياة جديدة وتقتلين وتعذبين وتلوث يدك فى الدم من جديد .

فليعتقد البوليس ما يشاء . أما أنا فما أن قرأت نبأ الانفجار حتى قلت لنفسى : افتح عينيك جيداً ، وأتيت إلى هنا .

كنت أتوقع قدومك يا جوزفين . وكان يجب أن تدبرى أمرك مع بعض شركائك .. وكان أول ما عنيت به هو أن أنظر حولى لكى أرى إن لم يكن هناك وجه مألوف . شريك لك . وهذا أسهل شئ .

"وعلى الفور عرفت السيد دومنيك ، لأننى كما لا تعرفين ، سبق أن رأيته بجوار عربتك أمام بيت بريجيت روسلان . ودومنيك خادم مخلص ، ولكن خوفه من الشرطة منى أنا روضاه إلى حد أن أخلاصه تحول إلى .. أرسل إليك تقارير كاذبة وساق قدميك بالاتفاق معى إلى الفخ الذى نصبته لك . وهذا مكسب له : عشرة آلاف فرنك من جيبك وعاد إلى القصر ، تحت حمايتى .

"هذا هو موقف كل منا الآن أيتها العزيزة جوزفين .. ولكننى أردت أن أرى أيضاً كيف تديرين العملية ، وبقيت فى الخلف ، وأردت أن أرى أيضاً كيف ستقابلين نبأ مقتل كلاريس ديتيج المزعوم .

إن كل ما أحسست به أنت شئ من الانفعال . فقد حسبت أن تلك الفتاة ماتت . ماتت بأمر منك ، ولم يكن لذلك أى تأثير عليك . إن موت الآخرين لايهمك .. واتذكر الآن أن بومانيان كان يدعوك بالسفاكة الجهنمية . وقد أثارنى وصفه هذا فى البداية ، ولكن اتضح أنه وصف صادق ، وأن فيك شيئاً من جهنم نفسها . لم أعد أفكر فيك من غير أن أشعر بالفزع . ولكن أنت نفسك يا جوزفين . ألاتفزعين فى بعض الأحيان ؟

قالت فى إعياء شديد : لا أستطيع أن أفعل غير ذلك . علمونى أن أفعل الشر كما يفعل غيرى الخير .

ـ ومن الذى علمك ؟

ـ أمى ...

وقال : أمك . الجاسوسة ؟

تلك التى دبرت كل تلك القصة التى تدور حول كاليو سترو ؟

ـ أجل . ولكن لاتتـهمـهـا، فقد كـانت تحبنى كثيراً . وكل مـا هنالك انها لم تفلح فى حياتها . أصبحت فقيرة وتعيسة وأرادت أن أفلح .

ـ هل كنت تشبيهينها ؟

ـ شبه بحيث لايفرق بيننا أى أحد . وهذا هو سبب هلاكى . أرادت أن استأنف ما تدعوه فكرتها الخالدة . ميراث كاليو سترو .

ـ أكان معها مستندات ؟

ـ قصاصـة من الورق . عليـهـا رباعـية اللغز ، وقد وجـدتها إحدى صديقاتها فى أحد الكتب ، وكان يبدو أنها بخط كاليو سترو . وقد أثملهـا ذلك ، كـمـا أثملهـا نجاحـهـا بجـوار الامـبـراطورة اوجـينى ، واضطررت أنا أن أسـتـمر عندئذ . أقنعتنى بذلك وأنا طفلة ، وربتنى وأنشأتنى على هذه الفكرة .

كانت تلك حرفتى التى أرتزق منها ، وكان ذلك مصيرى وقدرى . كنت ابنة كاليو سترو . استأنفت أنا حياتها ، وحياته هو . حياة براقة كتلك التى عـاشـهـا فى الروايات . حـيـاة أفـاقـة تتـمـتع بكل المواهب وتسيطر على العالم . ليس لها ضمير . كان يجب أن أنتقم لها من كل ما عانت منه . وعندما ماتت قالت لى "انتقمى لى".

وراحت تبكى فى صمت ثم قالت: لاتصدنى يا راوول . أنت الوحيد فى الدنيا الذى كان يمكن أن ينقذنى من الشر . أحسست بذلك على الفور ، فإن فيك شيئاً سوى وكله خير . آه . يا للحب . الحب وحده هو الذى احسسنى بالهدوء . ولم أحب غيرك ، فلا تصدنى .

ورفعت رأسها ، ومدت ذراعيها بطول كتفيه وأحاطت عنقه ونظرت إليه فى وجد ووله . وكانت نظرة كافية بحيث لم ير راوول فيها المرأة التى تتوسل وإنما تلك التى تريد الغواية والإغراء وتستخدم رقة عينيها وحلاوة شفتيها . والنظرة الرقيقة الساذجة والمؤلمة ، فتخلص من الإغرا ـ واقصى عنه المرأة الفاتنة التى تعانقه وقال : هل تذكرين ، ذات يوم، فى الزورق، خاف كل منا من الآخر، كما لو أننا كنا نحاول أن يخنق كل منا الأخر . وهو نفس الحال الآن ، فإننى إذا استسلمت لك فإننى هالك ، ويأتى الموت غداً أو بعد غد . اعتدلت فجأة ، وكل ما فيها ينطق بالعداء والشر ، وغمرها الكبرياء من جديد . وهبت العاصفة بينهما فجأة فنقلتهما من الأمل والحذر إلى حالة جارفة من الحقد والتحدى . وعاد راوول يقول :

ولكن الواقع اننا منذ اليوم كنا عدوين لدودين. لم يكن كل منا يفكر إلا فى هزيمة الآخر. وخصوصاً أنت ، فقد كنت أنا الغريم والدخيل . كانت صورتى فى ذهنك تمتزج بفكرة الموت . إنك قد حكمت على به سواء طواعية أم لا .

هزت رأسها وقالت فى لهجة عدوانية : حتى الآن لا .

صاح : ولكن الآن نعم، أليس كذلك ؟ ولكن جد شئ جديد، هو اننى لم أعد أعبأ بك الآن يا جوزفين ، فقد أصبح التلميذ أستاذاً، وهذا هو الذى أرادت أن أثبته لك إذ قبلت النزال وتركتك تأتين هنا، وعرضت نفسى وحدى لضرباتك وضربات عصابتك. وهانحن ، كل منا أمام الآخر، ولاتستطعين شيئاً ضدى. لقد فشلت على طول الخط . فكلاريس على قيد الحياة ، وأنا حر، فهيا يا جميلتى ، أخرجى من حياتى . انك غلبت على أمرك تماماً . واننى أحتقرك .

رماها فى وجهها بالكلمات الجارحة التى أوجعتها كضربات

السوط امتقعت وتغيرت ملامحها، ولأول مرة بدا على جمالها الذى لايتغير مسحة من الانحلال والذبول . وجزت على أسنانها قائلة : سوف أنتقم .

قال راوول ساخراً : مستحيل . اننى قلمت أظافرك . وأنت تخافين منى ، وهذا أروع شئ فى حياتى أراه اليوم . وهو انك خائفة منى .

تمتمت : سأكرس كل حياتى للانتقام منك .

ـ لايمكنك أن تفعلى شيئاً ، فقد عرفت كل خدعك . انك فشلت وهذه هى نهايتك .

هزت رأسها وقالت : لدى وسائل أخرى .. تلك الثروة الطائلة التى حصلت عليها .

سألها راوول فى استخفاف: بفضل من ؟ ألم يكن هذا بفضلى أنا؟

ـ ربما . ولكن أنا التى عرفت كيف أتصرف وكيف آخذ . وأنت لا تجيد إلا الكلام ، كما هى عادتك . ولكن كان لابد من عمل ، وهذا العمل أنا التى قمت به . الآن كلاريس على قيد الحياة ولأنك طليق تظن انك انتصرت ؟ ولكن حياة كلاريس وحريتك يا راوول شيئان تافهان بجانب الشئ الكبير الذى تسبب فى نزالنا ، أى الاف وآلاف الجواهر . إن المعركة الحقيقية كانت هناك يا راوول ، وقد فزت بها أنا ما دام الكنز معى .

قال فى سخرية : من يدرى .

ـ إنه معى كما أقول لك، فقد وضعت أنا بنفسى الأحجار التى لاتحصى فى حقيبة حزمتها، وختمت أمامى ، وأنزلتها فى قاع الزورق ثم أخذتها قبل انفجاره ، وهى الآن فى لندن ، فى خزينة أحد البنوك.

قال راوول بلهجته الساخرة. نعم . والحقيبة جديدة والأختام عددها

خمسة بالشمع البنفسجى وعلى كل ختم الحرف الأولان من اسمك : ج . ب. أى جوزفين بلسامو. أما الحقيبة فهى من الخيزران المجدول وملفوفة بسيور من الجلد بصورة بسيطة لكى لاتستفلت النظر .

رفعت الكاليو سترو إليه عينين مذعورتين وقالت : إذن فأنت تعرف .. ولكن ، كيف عرفت ؟

قال ضاحكاً : إننا بقينا معا وحدنا ، أنا وهى ساعات طويلة .

ـ كذب . إن الحقيقة لم تفارقنى لحظة واحدة من جوميبج حتى مضيت بها إلى البنك .

ـ هذا صحيح ، وأنت أنزلتها بنفسك إلى قاع الزورق . وكنت أنا فى القاع فى ذلك الوقت ، فقد أدركت وأنا واقف أمام الصخرة المبقورة انك ستمضين إلى الزورق بالجواهر، وتحاولين الهرب منى ومن البوليس بالرحيل إلى الخارج ، فأسرعت إلى الهافر. وفى الساعة الواحدة ذهب رجالك الثلاثة لاحتساء القهوة فى البار فانتهزت الفرصة وأختفيت فى قاع الزورق ، خلف بعض الصناديق والبراميل . وفى الساعة السادسة أتيت أنت وأنزلت الحقيبة بواسطة حبل تركتها تحت رعايتى. وفى الساعة العاشرة أقبل ليونار ، وكان قد قرأ فى الجرائد نبأ انتحار بومانيان . وفى منتصف الليل اقتربت مركب أخرى ، وتحول ليونار فأصبح الأمير لافورنيف وأشرف على نقل كل ما هو ثمين من الزورق إلى المركب وعلى الخصوص الحقيبة التى استرددتها أنت من القاع ثم . انفجر الزورق .

امتقع لون الكاليو سترو فى حين استطرد راوول يقول :

واعترف لك اننى قضيت عندئذ بضع لحظات بغيضة . كنت وحدى ولم يكن بالزورق أحد ، وبدأ يسير على غير هدى ويتأرجح كما لو أن رجلاً ثملاً يسوقه . ولم ألبث أن خمنت خطتك والقنبلة الموضوعة فى

مكان ما والتى لن تلبث أن تنفجر .

"كنت اتصبب عرقـاً، هل ألقى بنفسى فى الماء، ونويت على ذلك وبينما كنت أخلع حذائى أدركت فى سرور أن شيئاً مربوطاً إلى الزورق يرتطم به، وكان فى ذلك نجاتى، فبعد عشر دقائق كنت جالساً فى القارب فى هدوء على بعد نحو مائة متر عندما وقع الانفجار .

وفى الليلة التالية ، بعد أن راح القارب يتأرجح بى اندفع إلى شاطئ انتيفر الصخرى ، فألقيت بنفسى فى الماء ، وبلغت الشاطئ ثم أسرعت إلى هنا لكى استعد لزيارتك أيتها العزيزة جوزفين .

أصغت الكاليو سترو دون أن تقاطعه فى هدوء واطمئنان ، فما سمعته عن ركوب راوول القارب ونجاته من الانفجار لم يكن له أية أهمية .

ومع ذلك فقد ترددت فى إلقاء السؤال المهم ، مدركة أن راوول ليس بالرجل الذى يخاطر بكل شئ إلا لكى ينجو بنفسه . وامتقع لونها ، وقال راوول : حسناً . ألاتسألينني عن شئ ؟

- وعم أسألك ؟ إنك قلت ذلك بنفسك . اننى استرددت الحقيبة وهى الآن فى مكان أمين .

- ألم تلاحظى آثار شق فى الجانب . شق بين عقد الخيزران ؟

- شق ؟

- عجباً . اننى لم أبق ساعتين أمام الحقيبة مغلول اليدين ، فقد ثقبتها بطريقة لايمكن أن يفطن إليها أحد بحيث إنك عندما تفتحيها ستجدين ، بدلاً من الجواهر بضعة أرطال من الفاصوليا والعدس بما يوازى ثقل المجوهرات .

تمتمت وهى تحاول أن تحتج . هذا غير صحيح . لايمكن أن تكون

أخذ راوول من أحد الدواليب حقيبة أفرغ ما فيها فى كفه يده . عشرين أو ثلاثين ماسة وياقوتة راحت ترتطم وتتلألأ وقال : وهناك الكثير غيرها . صحيح أن الانفجار منعنى من الاستيلاء على كل الجواهر وتبعثر معظمها فى البحر، فاننى وقد شعرت بالمركب الأخرى بجوار الزورق ، ورأيت من إحدى الكوات البحارة ينقلون ما بالزورق إلى المركب أدركت ما يحاك ، فقفزت من الكوة فى الوقت المناسب ، قبل انفجار الزورق ببضع دقائق ، وكانت النتيجة أن تبعثرت معظم الجواهر التى معى واستقرت فى قاع البحر . ولكن ما بقى يكفى لكى أعيش عيشة مترفة حتى آخر العمر .

ـ هل أدركت الآن اننى قد هزمتك على طول الخط يا جوزفين ؟ ستنصرفين من هنا وأنت مقتنعة تماماً بأنك لن تستطيعى شيئاً ضدى وأن خير ما تفعلين هو أن تتخلى عن كل دسائسك ومكائدك . سأكون سعيداً رغما عنك ، وكلاريس كذلك ، وسننجب أولاداً كثيرين ، وهذه حقائق لابد لك أن تتقبليها . وراح يمشى وهو يقول فى فرح وسرور متزايدين : ماذا تريدين ؟ إن سوء الحظ لعب دوره معك . إنك نازلت شاباً أقوى منك ألف مرة . وأذكى منك بكثير يا صديقتى المسكينة . وأى ذكاء وأية عبقرية ! لم يفتنى منك أى شئ ، وكنت أقرأ مخك كما لو كنت اقرأ كتاباً مفتوحاً ، فأنت تولينني ظهرك فى هذه اللحظة ، أليس كذلك ؟ وأعرف تماماً انك تدسين يدك فى صدرك وتخرجين منه مسدساً ، وانك .

والحق أن راوول لم يكد يفرغ من قوله هذا حتى استدارت الكاليو سترو وفى يدها مسدس . وانطلقت الرصاصة ، ولكن راوول كان يتوقع منها ذلك فأسعفه الوقت لكى يلوى ذراعها ويوجه فوهة المسدس إليها هى بالذات ، فوقعت على الأرض وقد أصابتها الرصاصة فى صدرها .

وأخذت نفساً طويلاً ، وفتحت عينيها ، وعندئذ ، أحس إحساساً لا يقاوم بأنه لم يعد يريد أن يراها أو أن يفكر فيها .

فتح النافذة وأصاخ السمع : خيل إليه أن هناك خطوات تسير فوق الشاطئ ولاريب أن ليونار تحقق عندما بلغ الساحل أن العملية اقتصرت على اختطاف تمثال، ولاريب أنه أحس بالقلق على جوزفين فأسرع لنجدتها. وقال راوول يحدث نفسه: فليجدها وليحملها . ولتمت أو لتعيش ، ولتكن سعيدة أو تعيسة فإننى لا أحفل . لا أريد أن أعرف عنها شيئاً بعد . كفى . كفانى من هذا الجحيم .

ومن غير أية كلمة ، ومن غير أية نظرة نحو المرأة التى تمد يدها وتتوسل إليه ، انصرف .

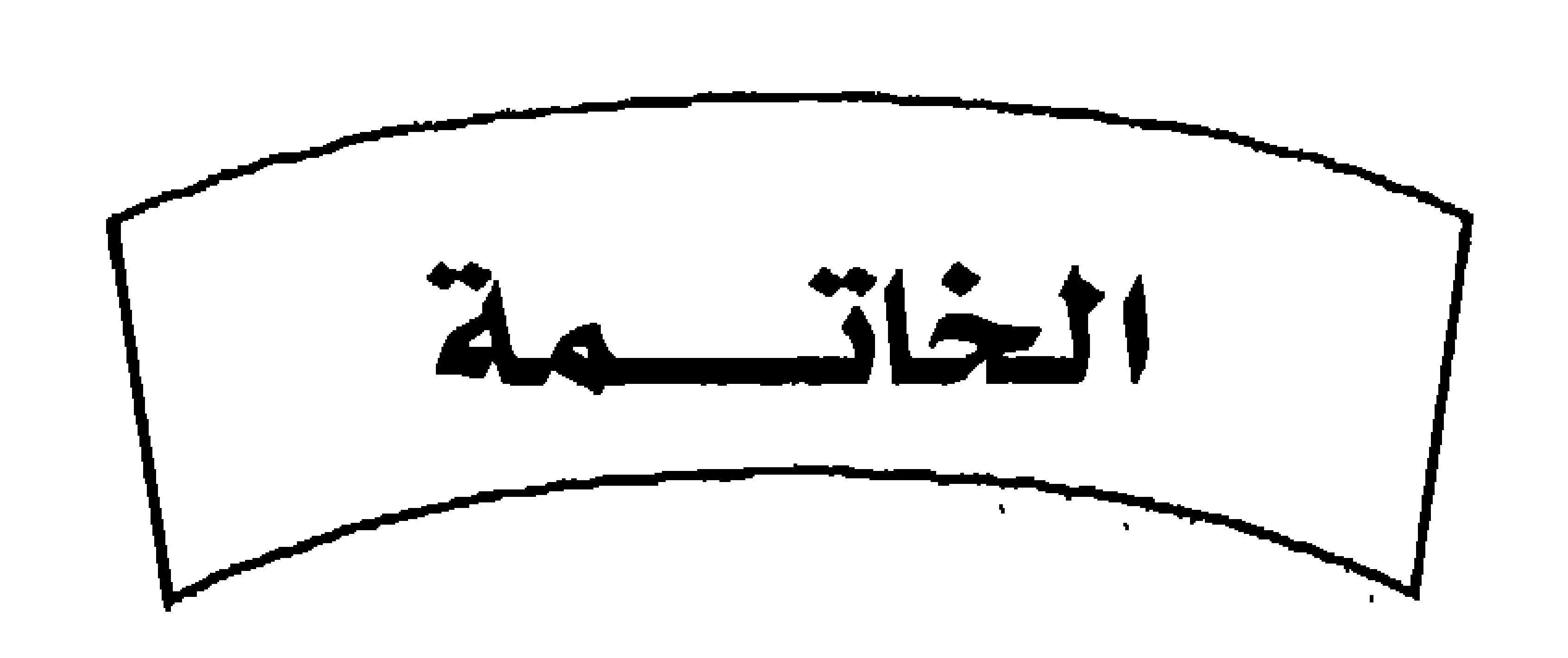
وفى اليوم التالى مضى لرؤية كلاريس ديتيج .

لم يكن رأى الفتاة حتى ذلك الوقت لكى لايثير جروحاً يعرف أنها شديدة الحساسية. ولكنها كانت تعرف أنه موجود. وأدرك على الفور أن الزمن قد قام بدوره فإن وجنتيها كانت أكثر توردا وعينيها تومضان بالأمل وقال لها :

- كلاريس . إنك وعدتنى منذ أول يوم أن تسامحينى .

عنه ، فقد آذيتك كثيراً . ولست أطلب حبك فحسب ، وإنما بحاجة إلى عنايتك وحمايتك . إننى بحاجة إليك يا كلاريس ، لكى انسى ذكريات بغيضة ، ولكى أستعيد ثقتى فى الحياة وأتغلب على أشياء فظيعة في داخلى ، تجرنى إلى حيث لا أريد . وإذا ساعدتنى فأنا واثق اننى سأكون رجلاً شريفاً . وأعدك بذلك فى إخلاص ، وأعدك انك سوف تكونين سعيدة كذلك . هل تريدين أن تكونى زوجتى ؟

وبسطت يدها إليه .



الخاتـــمة

صح ما توقعه راوول فقد حفظ اولو الأمر القضية ، وانفصل شركاء بومانيان ، ولم يتحدث أحد عن كنوز الرهبان ، ولم يعرف الجمهور شيئاً عنها .

وظل دور راوول فى تلك القضية مجهولاً ، وتم زواجه من كلاريس دون أن يهتم به أحد ، ولا ندرى بأية معجزة استطاع أن يتزوجها باسم راوول داندريزى ، ولاريب اننا يجب أن نعزو تلك المعجزة إلى الامكانات العظيمة التى اتاحتها له قبضتا الأحجار الكريمة التى اقتطعها من الكنز ، فإن من الممكن بواسطتها شراء كل شئ. ولا ريب أن اسم ارسين لوبين اختفى هو الآخر ، لأن اسم ارسين لوبين لم يعد له وجود فى أى سجل مدنى ، ولا فى مستند حكومى ، وكذلك الحال مع اسم تيوافرست لوبين . ولم يعد هناك قانوناً غير اسم الفيكونت راوول داندريزى ، وقد قام تحت هذا الاسم برحلة فى أوربا احتفالاً بزواجه بكلاريس ديتيج .

وقد وقع حادثان كان لهما الأثر فى ذلك الوقت ، فقد وضعت كلاريس طفلة ماتت عقب ولادتها ، وبعد بضعة أسابيع جاءها نبأ موت أبيها .

والواقع أن جود فرى ديتيج وابن عمه بنيتو غرقا أثناء نزهة بحرية أكان ذلك حادثاً أم انتحاراً ؟ كان ابنا العم قد أصابهما الجنون فى

أواخر أيامهما ، وساد الاعتقاد بأنها انتحرا .. وأشيع أيضاً أن فى الأمر جريمة قد فقد قيل أن يختا صدم قاربهما وأغرقهما وأسرع بالفرار .. ولكن لم يقم الدليل على ذلك .

ومهما يكن من أمر فإن كلاريس أبت أن تمس ثروة أبيها ووهبتها كلها للمؤسسات الخيرية .

ومضت سنوات حلوة ، بعيدة عن كل المشاكل والهموم . وبر راوول بأحد الوعدين اللذين وعد كلاريس بهما ، فقد كانت سعيدة كل السعادة .

أما الوعد الثانى فلم يف به ، ولم يكن شريفاً .

ذلك لأنه لم يستطع ، فقد طبع دمه على أن يأخذ وأن يدبر وأن يخادع ، وكان بالغريزة مهرباً ولصاً ومحتالاً ونهاباً وقرصاناً ومتآمراً وعلى الخصوص زعيم عصابة ، فخفية عن كلاريس ، ومن غير أن تعلم قام بمشروعات وأفلح فى أعمال تطورت فيها مواهبة الخارقة .

ولكنه كان شديد الحرص قبل كل شئ على توفير كل راحة وسعادة لكلاريس ، فقد كان يحترم زوجته ، ولم يشأ أن تعرف أنها زوجة لص . واستمرت سعادتها خمس سنوات . وماتت كلاريس بعد أن أنجبت طفلا أسمته جان .

ولكن ذلك الطفل اختفى فى اليوم التالى ، ولم يكن هناك أى دليل يسمح لراوول بأن يكتشف من الذى اقتحم بيته ، وإن كان قد عرف من أين أتته الضربة ، فهو لم يشك أبداً فى أن الكاليو سترو هى التى أغرقت ابنا العم ، ثم أنه كان قد عرف أن دومنيك مات مسموماً واعتقد أنه الكاليو سترو هى التى دبرت اختطاف ابنه .

وبدله حَزنه ، إذ لم تعد له زوجة ولا ولد ، انطلق فى الطريق الذى تجره إليه كل تلك القوى . وفى يوم وليلة أصبح أرسين لوبين ، ولم

يعـد يتـحـفظ أو يجـامل ، بل على العكس انطلق إلى الفـضـائح والتحريات والوقاحة والغرور والسخرية . وأصبح اسمه على الجدران وبطاقته فى الخزائن .

ولكن سـواء باسم ارسين لوبين أو بالأسـمـاء التى كان يحلو له أن يتخذها ، وسواء اتخذ اسم برنار داندريزى ، وهو ابن عم له مات فى الخارج فسرق أوراقه ، أو اسم هوراس فيلمون أو الكولونيل سـبار بينتـو أو الدوق دى شـار مـيـراس أو الأمـيـر سـرنين أو دون لويس بيرينا ، فقد كان يبحث ، تحت كل هذه الأسماء عن الكاليو سـترو وعن ابنه جان .

ولم يجد ابنه ولم ير جوزفين بلسامو أبداً .

ألا تزال على قيد الحياة ؟ وهل تجرؤ على الظهور فى فرنسا ؟

وهل تستمر فى التآمر والقتل ، وهل كان يقر فى قرارة نفسه أن التهديد المستمر ضده منذ وقت القطيعة سينتهى بمثل هذا الانتقام الهائل وهو اختطاف .

كل الحياة التى عاشـها أرسين لوبين ، وكل مـشـروعاته الجنونية والمحن التى فوق طاقة البشر ، وانتصاراته العجيبة وغرامياته العديدة واطماعه ، كل ذلك كان يجب أن يقع له قبل أن تسمح الأحداث بالرد على هذه الأسئلة المخيفة .

وهكذا ارتبطت مغامرته الأولى ، بعد ربع قرن من الزمان ، إلى ما راق له أن يدعوها بمغامرته الأخيرة .

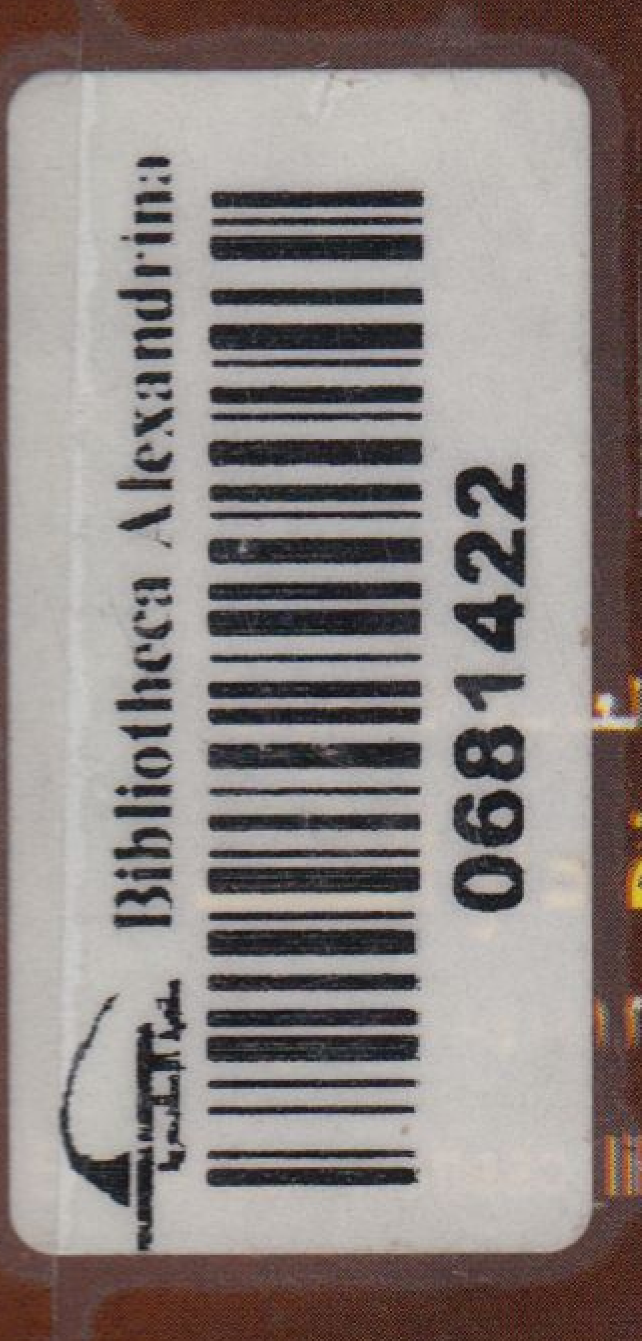


أشهر القصص اللصوصية

مغامرات اللص الظريف أرسين لوبين صاحب الشخصية العجيبة والمغامرات الخارقة التى بهرت الملايين فى أنحاء العالم ،،

لغز القصر المهجور	اللص الظريف
عودة أرسين لوبين	سر عقد اللؤلؤ
غريم أرسين لوبين	إمرأة أرسين
السرقة العجيبة	الشبح القاتل
الجائزة الكبرى	ذو الوجهين

رقم الإيداع الدولى
977-267-241-5
كتاب رقم 2702





مكتبة معروف
الإسكندرية: ٤٨٤١١٢٥/٩٥٤٥٥١٩ / فاكس: ٤٨١٠٠٨٩
القاهرة: ٠٢٢٤٠٣٧٧٩٢ - ٠١٢٧٨٥٦٦١٣
E-mail:maarouf2004@hotmail.com
www.maaroufbookshop.com
info@maaroufbookshop.com